الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي نور البشير البيض

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

سند بيداغوجي لمقياس صدر الإسلام

التخصص: تاريخ عام

المستوى: السنة الثانية ليسانس

السداسي: الثالث

إعداد: الدكتور داودي الأعرج

السنة الجامعية: 1441- 1442 هـ /2020- 2021م

محاور مقياس صدر الإسلام

1 . مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام

2 . المجتمع العربي قبل الدعوة الإسلامية

3 . الدعوة الإسلامية؛ السيرة النبوية؛ بناء الدولة الإسلامية

4 . تطور المجتمع في العهد الراشدي

5 . قيام الخلافة الأموية، نظام الحكم

6 . الفتوحات الإسلامية في المشرق والمغرب

7 . التنظيمات الإدارية والاقتصادية

8 . الحياة الثقافية في العهد الأموي

فهرس الموضوعات

فصل تمهيدي: مصادر ومراجع تاريخ العرب قبل الإسلام

1 . المصادر.....06

2 . المراجع 07

الفصل الأول: المجتمع العربي قبل الدعوة الإسلامية

1 . الأمن الاجتماعي 11

2 . الطبقات الاجتماعية 15

3 . الأسرة ووضع المرأة 17

4 . الأخلاق والعادات والتقاليد.....20

5 . اللباس والغذاء 23

6 . الغناء ومجالس الأنس 27

الفصل الثاني: السيرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية

أولا: السيرة النبوية قبل البعثة 28

1 . نسبه الشريف 28

2 . رضاعته وكفالته 28

3 . العلامات والإشارات الدالة على النبوة 29

4 . الأحداث التي عاشها الرسول قبل البعثة 31

ثانيا: السيرة النبوية بعد البعثة 33

1 . الدعوة السرية 33

2 . الدعوة الجهرية 35

1.2 . الدعوة الإسلامية قبل الهجرة 35

2.2 . الدعوة الإسلامية بعد الهجرة وبناء الدولة 43

الفصل الثالث: الدولة الإسلامية في ظل الخلافة الراشدة

1 . طبيعة نظام الحكم 57
2 .كيفية اختيار الخليفة 57
3 . الإنجازات والتحديات 58
1.3 . عهد الخليفة أبي بكر الصديق 58
2.3 . عهد الخليفة عمر بن الخطاب 60
3.3 . عهد الخليفة عثمان بن عفان.....63
4.3 . عهد الخليفة علي بن أبي طالب 65

الفصل الرابع: تطور المجتمع في العهد الراشدي

1 . الأسرة ووضع المرأة 69
2 . الفوارق الاجتماعية.....71
3 . الأخلاق والعادات والتقاليد.....72
4 . اللباس والغذاء.....73
5 . اللهو ومجالس الأنس 75

الفصل الخامس: الدولة الأموية

1 . نظم الحكم والإدارة 79
2 . الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي 82
3 . المجتمع والاقتصاد.....85
4 . الأوضاع الثقافية 87
المصادر والمراجع 90

فصل تمهيدي: مصادر ومراجع تاريخ العرب قبل الإسلام

1 . المصادر

2 . المراجع

1. فصل تمهيدي: مصادر ومراجع تاريخ العرب قبل الإسلام

. القرآن الكريم

. الأحاديث النبوية الشريفة

1 . المصادر:

. الإبشيهي شهاب الدين، المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الهدى، الجزائر، 2009:: يتألف الكتاب من جزأين، ويعد من المصادر التاريخية الهامة، التي لا يمكن الاستغناء عنها، ونعتبره موسوعة قيمة أحاطت بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية ومظاهرها في الجاهلية والإسلام.

. الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994: يعد الكتاب موصوعة معرفية، وهو من أهم المصادر، التي ألفت في التاريخ الفني للحضارة العربية، وتكمن أهمية الكتاب في كونه اختص في التأريخ لحركة الغناء والطرب، وبيَّن أحوال المغنين ومجالس الأنس، ولم يغفل على ذكر بعض أنواع الألبسة، وأصناف الطعام والشراب، وذكر أخبار العرب في الجاهلية والإسلام.

. ابن الأثير الجزري عز الدين، الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987: يعد الكتاب موسوعة تاريخية، مؤلفة من 11 مجلدا، يندرج ضمن مصنفات التاريخ العام، الذي يتضمن تاريخ البشرية من بدأ الخليقة إلى عصر المؤلف. وتكمن أهمية الكتاب فيما يتعلق بهذا الموضوع في الأخبار والمعارف التاريخية والحضارية المتعلقة بالسيرة النبوية وما يتعلق بالمجتمع العربي في الجاهلية.

. ابن الجوزي أبو الفرج، مختصر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق أحمد جمعة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011: تضمن الكتاب باختصار جميع الأحداث والوقائع، التي عرفتها البشرية منذ بدأ الخليقة إلى غاية عصر المؤلف. وما يهم في هذا الكتاب ما يتعلق بالموضوع، فقد ورد فيه أخبار متعلقة بحياة العرب والنبي عليه الصلاة والسلام قبل البعثة.

. الدّينوري مسلم بن قتيبة، المعارف، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003: يعد من المصادر القيمة، تضمن أخبارا عن بدأ الخلق والأمم والممالك، وقدم معلومات هامة عن أخبار العرب وأنسابهم، والمهن والصناعات الشريفة، التي تندرج ضمن مهن فئة الأشراف في المجتمع، والأمراض والعاهات التي كانت منتشرة في العصر الجاهلي، وما يهم أنه تطرق للسيرة النبوية.

. الدّينوري مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، ضبط وتعليق الداني بن منير، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت، 2014: يتألف من 4 أجزاء، وقد تضمن مجموعة من الأخبار من حياة العرب والرسول صلى الله عليه وسلم، وما يتعلق بالمرأة والزواج والطلاق، والحب والأخلاق والفضائل والأمثال، والأطعمة والأشربة، والغناء والطرب.

. الدّينوري مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، تحقيق مفيد قمجة ومحمد أمين الضناوي، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005: يعتبر من أهم الكتب المصنفة في الشعر وتراجم الشعراء، وقد تضمن أبياتا شعرية، وأخبارا متنوعة عن العرب في الجاهلية والإسلام.

. الدّينوري مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، ضبط محمد نبيل، ط1، دار صادر، بيروت، 2011: يتألف الكتاب من سبعة أجزاء، تضمنت أبياتا شعرية أعقبها أخبار عن حياة العرب في الجاهلية والإسلام، تتعلق بمواضيع كالأخلاق والأمثال والشعر، وأصناف الغذاء والشراب، وفنون الحرب وأدواتها، كما لم يغفل عن ذكر كل ما يتعلق بالحيوانات والدواب والماشية، بالإضافة إلى أساليب الصيد ووسائله.

. ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي، جمهرة أنساب العرب، ضبط عبد المنعم إبراهيم، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007: اختص هذا الكتاب بأنساب العرب في الجاهلية والإسلام، وفي سياق ذكره لأنساب القبائل العربية، وسرد أخبار مشاهيرها وأعلامها، أتى على ذكر بعض الأعلام المشاهير، الذين كان لهم الأثر البالغ في المجتمع العربي خلال العصر الجاهلي.

. الطبري أبو جعفر محمد، تاريخ الأمم والملوك، تحقبق مصطفى السيد وطارق سالم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ: يتألف الكتاب من 8 مجلدات، يندرج ضمن كتب التاريخ العام، يبدأ في سرد الأخبار وفق المنهج الحولي من بدء الخليقة إلى عصر المؤلف. ما يهم في هذا الموضع ما تضمنه من أخبار العرب في الجاهلية والإحاطة بالسيرة النبوية قبل البعثة النبوية.

. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، دون تاريخ: يتألف الكتاب من مجلدين، يحتوي كلاهما عل معلومات قيمة. ما يهم في هذا الموضوع، ما يتضمنه الكتاب من مظاهر حياة العرب في الجاهلية، والسيرة النبوية قبل البعثة.

. ابن كثير عماد الدين، البداية والنهاية، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 2006: يتألف من 8 مجلدات، يصنف ضمن كتب التاريخ العام، ويعد موسوعة تاريخية اهتمت بالتأريخ للبشرية

منذ بدأ الخليقة إلى عصر المؤلف. وما يهم في هذا الموضوع الأخبار الواردة المتعلقة بحياة العرب في الجاهلية.

. المقدسي أبو طاهر المطهري، البدء والتاريخ، تحقيق كليمان هورت، تقديم بن مزيان، دار ابن النديم، وهران، 2011: يعد من أشهر الموسوعات التاريخية، نظرا لما يقدمه من معلومات قيمة، تطرق فيها إلى تاريخ الأمم منذ الخليقة إلى غاية عصره. وما يهم أن هذا الكتاب أتى على ذكر أخبار العرب وأنسابهم في الجاهلية.

. ابن عبد ربه أبو عمر أحمد، العقد الفريد، تحقيق محمد التونجي، دار صادر، بيروت، دون تاريخ: يتألف الكتاب من سبعة مجلدات. قدم المؤلف جملة من الأخبار المتنوعة حول حياة العرب في الجاهلية والإسلام، ولم يترك جانبا إلا تطرق إليه، وما يهم هنا ما أجاد به من معلومات قيمة أحاطت بالحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي. فقد تضمن الكتاب بيانا مفصلا عن الحياة اليومية، وجمع روايات عن الحب والغناء والطرب، وأنواع الألبسة والأطعمة، والخصال والروابط الاجتماعية، وكل ما يتعلق بالمرأة والزواج والطلاق، والفضائل والأمثال، ولم يغفل عن ذكر أخبار الحروب وأحكامها وأدوائها وفنونها.

. ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1998: تضمن أخبار الأمم وطبقاتهم وطباعهم، ونصيب كل أمة من العلم. وقد أتى على ذكر أحوال العرب وعلومهم في الجاهلية والإسلام.

. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003: يتألف الكتاب من 8 مجلدات، ويعد من المصنفات التاريخية القيمة، التي اهتمت بتدوين تاريخ البشرية. ويندرج ضمن كتب التاريخ العام، وما يهم في هذا الموضوع، الأحداث التي تضمنها الكتاب حول حياة العرب في الجاهلية.

2 . المراجع:

. أحمد مصطفى متولي، بداية الأيام ونهاية الزمان في تاريخ الإسلام، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2008: يتألف من جزأين، ويعد من المراجع الإخبارية الهامة، فقد ابتدأ بقصص الأنبياء والرسل، ويتطرق إلى السيرة النبوية ودول الإسلام، لكن ما يهم في هذا الموضع أنه أتى على ذكر أحوال العرب في الجاهلية.

. دوبولا نفيلييه، تاريخ العرب وحياة محمد، تحقيق وترجمة مصطفي التواتي، ط2، منشورات كارم شريف، تونس، 2013: يعد من الكتب القيمة، يندرج ضمن مصنفات المستشرقين، التي اختصت في أخبار العرب والسيرة النبوية. وقد تضمن الكتاب دراسة هامة لأحوال العرب في الجاهلية، وفي خضم ذلك تطرق المؤلف إلى السيرة النبوية، والحياة السياسية والاجتماعية، وجوانب عدة من حضارة العرب قبل البعثة.

. دومنيك سورديل، الإسلام في القرون الوسطى، ترجمة علي المقلد، دار التنوير، بيروت، 2007: يندرج الكتاب ضمن مصنفات المستشرقين، التي أثارت إشكالية حضارية في التاريخ الإسلامي، ومن ضمن ذلك تطرق إلى أصالة الإسلام والسيرة النبوية وغيرها من المواضيع، لكن ما يهمنا في هذا الموضع أنه أشار إلى حياة العرب في الجاهلية، ولو بشكل مقتضب.

. محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983:يتألف من مجلدين، ويعد من المصنفات القيمة، التي أحاطت بتاريخ العرب منذ القدم، وابتدأ بالحديث عن الممالك والحضارات القديمة في جزيرة العرب، وقدم دراسة وافية حول التاريخ الإسلامي. ما يهمنا أنه أتى على ذكر تاريخ العرب في الجاهلية، بحيث تطرق إلى مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد العرب قبل البعثة.

. عبد الحميد سلامة، قضايا الماء عند العرب قديما من الجاهلية إلى القرن 11هـ/ 17م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004: تضمن الكتاب معلومات جد قيمة، تتمحور حول قضايا الماء في تاريخ العرب. وما يهمنا ذكره أهمية الماء وأثره في المجتمع العربي خلال العصر الجاهلي.

. صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ط1، دار السلام، الرياض، 2009: يعد من المراجع الهامة، التي صنفت في السيرة النبوية، لكن ما يهم في هذا الموضع أنه قدم دراسة عن مظاهر الحياة الاجتماعية للعرب في الجاهلية.

الفصل الأول: المجتمع العربي قبل الدعوة الإسلامية

1 . الأمن الاجتماعي

2 . الطبقات الاجتماعية

3 . الأسرة ووضع المرأة

4 . الأخلاق والعادات والتقاليد

5 . اللباس والغذاء

6 . الغناء ومجالس الأنس

1 . الأمن الاجتماعي:

ليس بالإمكان تحقيق البناء الحضاري ورفاهية العيش، دون توفر الأمن والاستقرار، ويبرز بوضوح تأثير عامل الاستقرار على تطور الأمم ورقيها، كما أن التنافس والصراع حول المكاسب وتامين المصالح وسبل العيش، يشكل عاملا هاما في حالة الأمن والاستقرار، الذي شهدته المجتمعات. من هنا نتساءل: كيف كانت أوضاع مجتمع جزيرة العرب خلال العصر الجاهلي ؟

كان سائدا المجتمع القبلي في جزيرة العرب، وشكل نظام القبيلة نواة أمنها واستقرارها، وقد شهد المجتمع انعدام الاستقرار، بسبب كثرة إغارة القبائل على بعضها البعض، وانتشار ظواهر تزعزع أمن المجتمع كالسبي، واللصوصية، وقطع الطرق، والسطو، والحروب بين القبائل لأسباب معقولة وأخرى تافهة، مثل ما شهده العرب كحرب الباسوس بين بني بكر وبني تغلب، التي دامت ما يقارب الأربعين سنة، وسبب ذلك قتل ناقة امرأة اسمها الباسوس، وراح ضحيتها الكثير من كلا القبيلتين ومن تحالف معهما من القبائل الأخرى. وحرب شريحط، التي كانت بين قبائل مضر وقبائل اليمن. وحرب داعس والغبراء، التي وقعت بين قبائل عبس وقبائل ذبيان. وقد أدت هذه الحروب المشؤومة، تدفعها الحميه والعصبية القبلية إلى إراقة الدماء والسبي والسلب والنهب وكثرة الإغارة، وهذا كله أوقع الاضطراب والتناحر في المجتمع القبلي[1]. وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة القتل كانت شائعة، حتى بلغ الأمر بالبعض إلى إهدار دم من لا يدفع دينه[2].

غلب على المجتمع العربي الجاهلي البنية والتركيبة القبلية، وسادت العديد من الظواهر السلبية، بحكم العقلية القبلية السائدة في القرى والبوادي على حد سواء، ومن ذلك الإغارة، والسطو، والسلب، والنهب، والقتل، والسبي. فخيمت النزاعات القبلية على شبه الجزيرة العربية، وفي ظل عدم وجود سلطة مركزية، ومؤسسات تحتكم إليها القبائل، لجأت هذه الأخيرة إلى وضع أعراف وقوانين داخل القبيلة، وكذلك بين القبائل، ومن ذلك الاحتكام واستقضاء رجال اشتهروا بالعدل والصدق والأمانة والمروءة والشرف، وغير ذلك من الخصال الحميدة، والمنزلة الاجتماعية الرفيعة؛ فاتخذوهم حكاما في فض النزاعات، ورد الحقوق والمظالم لأصحابها. وقد اشتهر في قريش

[1] الدّينوري مسلم بن قتيبة، المعارف، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 333، 334

[2] حسب الدينوري، أقدم رجل من بني نصر على قتل رجل من بني كنانة لدين كان عليه. ينظر: نفسه، ص 332

عددا من الحُكام، نذكر منهم: عبد المطلب؛ حرب بن أمية؛ عبد الله بن جدعان؛ الزبير بن عبد المطلب؛ الوليد بن المغيرة المخزومي[1].

وورد عند اليعقوبي، أسماء بعض أشراف العرب، الذين اشتهروا في فض الكثير من النزاعات، وبرزوا بحكمتهم وعدلهم، أمثال: الأفعى بن الأفعى الجرهمي؛ معاوية بن عروة؛ سليمان ابن نوفل؛ سخر بن يعمر؛ الشدّخ يعمر بن عوف؛ عمرو الدُّومي؛ حنظلة بن نهد الحضرمي؛ قُسَّ ابن ساعدة الإيادي؛ وكيع بن سلمة بن زهير الإيادي؛ سويد بن ربيعة؛ مخاشن بن معاوية بن شريف، وهذا الأخير كان يتخذ سريرا من الخشب يجلس عليه، ليقضي في المظالم، فلقب بذي الأعواد؛ عامر الضّحيان بن الضحاك؛ الجعد بن صبرة الشيباني؛ أكثم بن صيفي بن ربَّاح؛ عامر ابن الظرب بن عمرو؛ هرم بن قُظبة الفزاري؛ غيلان بن سلمة الثقفي؛ الحارث بن عُباد؛ سنان بن أبي حارثة المري[2].

نشير من جديد إلى حالة اللاّأمن والاضطراب السائدة، بسبب قطع الطرق والسطو والسلب، لنسلط الضوء على ما اتفقت عليه العرب من حرمة هذه الأفعال في الأشهر الحرم، وهي: محرم؛ رجب؛ ذو القعدة؛ ذو الحجة. لذلك وضعوا عقدا اجتماعيا قبليا، يضمن السلم ويؤمن موارد العيش، التي ارتكز معظمها على سلامة القوافل التجارية، وأمن المسالك والمعابر والأسواق، وكذلك القرى. لكن لا نغفل عن ذكر ممارسة بعض القبائل اللصوصية والسطو في غير الأشهر الحرم، وهم الذين أطلق عليهم اسم المحلّين. وهذه القبائل هي: طيء؛ أسد؛ بنو بكر؛ بنو عامر. لم تسلم منهم الأسواق على الرغم من وجود عقد اجتماعي قبلي، وأعراف متعارف عليها بين القبائل، تدعوا إلى عدم السطو على الأسواق، لكي يأمن الناس على تجارتهم. وقد أحدثت هذه الظاهرة رد فعل من قبل قبائل أخرى، أطلق عليها اسم الذَادة المحرمون، ومن هذه القبائل نذكر: عمرو بن تميم؛ حنظلة بن زيد؛ هذيل؛ شيبان؛ كلب بن وبرة. وقد اتخذت هذه القبائل على عاتقها مسؤولية دفع قبائل المحلين، ومنعها من السطو والإغارة على الأسواق المشهورة عند العرب وعددها عشرة أسواق[3].

---

[1] اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، م1، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص 258

[2] نفسه

[3] نفسه، ص 271

كان لكل قبيلة منزلة اجتماعية تتفاخر بها، بحكم طبيعة المجتمع القبلي. وفي نظرنا تستند القبيلة في تحديد وضبط مكانتها، وفرض نفسها في محيطها القبلي على عدة عوامل أبرزها: النسب، ومقدار المال والثراء، وكثرة أفراد القبيلة وعدد فرسانها. فنجد القبائل تدفع شعرائها إلى الأسواق، فيسعى كل شاعر إلى نضم أجود الشعر، ويتغنى بنسب قبيلته وشرفها، ويسرد أخبارها، ويشيد ببطولاتها، وبفضل وكرم أسيادها وشجاعة فرسانها[1].

تعتبر مكة والطائف ويثرب من أشهر حواضر بلاد الحجاز، لما لهم من إمكانيات ومقومات لا تقف عند قوة شوكة القبائل التي تقطنها، بل لامتلاكها مقومات اقتصادية تؤهلها لفرض مكانتها الاجتماعية ونفوذها على المنطقة. والجدير بالذكر، أن يثرب رغم ما تملكه من موقع استراتيجي يتحكم في طرق التجارة، الرابطة بين بلاد الحجاز والشام، بالإضافة إلى ما تملكه من ثروة زراعية، بفضل توفر الماء وخصوبة التربة، وامتلاكها ضياع وبساتين، إلا أنها كانت غير قادرة على منافسة كلا من مكة والطائف، بسبب النزاعات والحروب بين الأوس والخزرج[2]. أما مكة فكانت التجارة وموسم الحج مكامن ثروتها، وامتيازها عن سائر مدن الحجاز بالشرف والريادة، لمنزلتها من الكعبة، وانحدارها من نسب قصي بن كلاب. أما الطائف فكانت تملك القوة، لاشتهار قبائل ثقيف وهوازن بشدة القتال، وامتلاك الأسلحة وحصانة المدينة، بالإضافة إلى امتلاكها الضياع الواسعة والبساتين المثمرة. فاقتصر التنافس بين مكة والطائف في مجتمع بلاد الحجاز[3].

تجدر الإشارة إلى أن ظاهرة القحط والجفاف في بلاد الحجاز، كادت أن تكون مستمرة، مما سبب أزمة في المجتمع العربي، وسيادة العطش لم يقتصر على الإنسان العربي فقط، بل شمل كذلك الإبل والدواب؛ فلما يشتد العطش يضطر العرب إلى نحر إبلهم، لشرب الماء الذي تختزنه في معدتها، وتعد هذه إحدى الطرق التي يلجأ إليها العرب خاصة خلال السفر والارتحال، بحيث يتركونها حتى يشتد بها العطش، ثم يعطوها الماء حتى تروى، كما أن للعرب معرفة بالريافة، وهي

---

[1] ابن رشيق أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، 1981، ص 65، 82؛ اليعقوبي، المصدر والمجلد السابقان، ص 262 – 269

[2] ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان البتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، م2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 335

[3] نفسه، ص 388

التعرف على مواضع الماء من خلال أشياء معينة، كالحيوان أو رطوبة ورائحة التربة أو نبات معين كنبات العوسج[1].

الجدير بالذكر، أن أزمة الماء دفعت البعض إلى شرب بول الخيل، وبسبب شدة وطأة العطش على المجتمع، سعى العرب إلى إيجاد طرق لتخزين الماء واستغلاله في أوقات الحر وندرة الماء، ومن ذلك تخزينه في بيض النعام داخل التراب، كما أوجدوا طرقا لتقسيم الماء بعدل فيما بينهم، مثل وضع حجر في الإناء لتحديد كمية الماء، التي توزع بالتساوي فيما بينهم، وأطلقوا عليها اسم الصَّفن، وسموا الحجر بالمقلَة. أما في حال عثروا على حوض ماء، وأرادوا اقتسامه لشرب إبلهم ودوابهم، يضعون فيه حجرا كبيرا، أطلقوا عليه اسم القُداس، فتشرب إبل كل واحد منهم على حسب الماء الذي يغمر ذلك الحجر. كما كان العرب يستدلون بطائر القطا على موضع وجود الماء، كما أجازوا رخصة لاستغلال ماء الغير سموها الحَقيق، ضمن عقد اجتماعي يجيز لرجل أصاب ماشيته العطش أن يستغل ماء رجل آخر غاب عنه، بشرط أن يكون ذلك في ثلاثة ليالي المتبقية من الشهر فقط[2]. والأمر المثير للاهتمام، أن شدة وطأة الجفاف على المجتمع اتضحت جليا في أسماء أولادهم، ومن تلك الأسماء، نذكر: غيث؛ غوث؛ غياث؛ أروى[3].

لا بد من الإشارة إلى ظاهرة خطيرة تمثلت في انتشار الأمراض والعاهات، كالعور في إحدى العينين أو الحول أو العمى، فقد أفادت الروايات بانتشار الأمراض التي تفتك بالعينين، بالإضافة إلى الصم، والجذام، والجرب، والجدع، والفلج، والبخر، والعرج[4]. ويبدوا أن البرص كان أكثر الأمراض والعاهات انتشارا، نذكر على سبيل المثال بعض مشاهير العرب، الذين أصابهم البرص، ومن هؤلاء: أنس بن مالك؛ بلعاء بن قيس؛ يربوع بن حنظلة؛ السفاح التغلي؛ الشاعر المغيرة بن حنبا؛ الربيع بن زياد العبسي؛ فشير بن كعب؛ سعد بن حارثة؛ ابن لام الطائي؛ ضمرة ابن ضمرة؛ الأبيض ين مجاشع؛ الشاعر الحرب بن حلزة[5].

---

[1] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، تحقيق مصطفى السيد وطارق سالم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ، ص 405؛ عبد الحميد سلامة، قضايا الماء عند العرب قديما، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004، ص 64- 68

[2] عبد الحميد سلامة، المرجع السابق، ص 67- 70

[3] نفسه، ص 72

[4] الدّينوري مسلم بن قتيبة، المصدر السابق، ص 320- 324

[5] نفسه، ص 320- 322

خلاصة القول، شكل الأمن الاجتماعي تحديا كبيرا أمام القبائل العربية في البوادي والحواضر، وبسبب انعدام الأمن تدهورت الظروف الاجتماعية، واستدعى ذلك تدخل حكماء العرب، وفطنة رؤساء القبائل إلى المصير المحتم لهذه النزاعات، التي تؤدي في نهاية المطاف إلى فناء العرب إما قتلا أو جوعا.

2 . الطبقات الاجتماعية:

عرفت المجتمعات عبر العصور فوارقا اجتماعية، التي هي في الأساس نتيجة فقدان العدالة الاجتماعية، وطبيعة الرغبة المتأصلة في الذات البشرية، التي تنجذب إلى الرفعة والتعالي والمال في غياب النزعة الإنسانية وروح المساواة، ويندرج المجتمع العربي في هذا السياق. من هنا نتساءل:

ما هي الطبقات والفئات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع جزيرة العرب قبل الإسلام؟

عانى المجتمع العربي في العصر الجاهلي من عمق الفوارق الاجتماعية، التي دلت على فقدان العدالة الاجتماعية في البيئة القبلية، ويمكننا تحديد ثلاث طبقات، على النحو الآتي:

طبقة الأشراف والحُمس والحكماء، وهذه الطبقة ضمت فئة الأشراف وشيوخ القبائل وزعمائها، وهم وجهاء العرب وسادتها، ورثوا ذلك عن آبائهم، وكانت لهم امتيازات وحقوق على عامة الناس، والتمثيل في المجالس والنوادي[1]. فكان لأشراف مكة ووجهائها تمثيل وعضوية في دار الندوة، التي تعد مقرا لمناقشة وتداول كل ما يتعلق بمكة وأهلها. والجدير بالاهتمام أن أشراف العرب لم تتوقف موارد أموالهم على التجارة، التي تحفظ منزلتهم الاجتماعية الرفيعة وشرفهم، بل تفيد الروايات بأنهم امتهنوا ما كان يسمى آنذاك المهن الشريفة، كبيع الكتان والعطر، وكذلك الخياطة والنجارة والحدادة وغيرها[2].

في هذا السياق، نذكر من كان بزازا، مثل: أبو بكر الصديق؛ عثمان بن عفان؛ طلحة بن عبيد الله؛ عبد الرحمن بن عوف؛ محمد بن سرين؛ ميمون بن مهران. أما من كان جزارا، نذكر منهم: الزبير بن العوام؛ عمرو بن العاص؛ عامر بن كريز.أما من كان يحترف الخياطة، نذكر منهم: أبو العوام؛ عثمان بن طلحة؛ قيس بن مخرمة. أما بالنسبة للذين امتهنوا الغناء والطرب واستمتعوا

[1] محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، م1، ج1، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983، 93

[2] الدّينوري، المصدر السابق، ص 319

به، نذكر منهم: النضر بن الحارث بن كلدة؛ الحكم بن أبي العاص؛ حريث بن عمرو؛ أبو عمرو ابن حريث؛ قيس الفهري أبو الضحاك بن قيس؛ معمر بن عثمان؛ سرين أبو محمد بن سرين. بالإضافة إلى ما ذكرناه، نشير إلى أبي طالب كان يتاجر في العطروسعد بن أبي وقاص كان يصنع النبال، والعاص بن هشام كان حدادا، والوليد بن المغيرة كان حدادا، وأبي سفيان بن حرب كان يتاجر في الزيت والأدم، وأمية بن خلف كان يتاجر في البرم، وعتبة بن أبي العاص كان نجارا، وعبد الله بن جدعان كان نخاسا له جواري بغايا يوظفهم في الدعارة ويبيع أولادهن، والعاص بن وائل كان بيطريا، وأبو يزيد كان بستانيا، ومجمع الزاهد كان حائكا، وأبو أيوب كان يتاجر في الجلود، وسعيد بن المسيب كان زياتا، ومالك بن دينار كان وراقا يكتب المصاحف[1].

أما فئة الحُمس، هم من أشراف العرب، ورثوا عن آبائهم امتيازات دينية، وبسبب ذلك ترفعوا عن الناس في الطواف والإفاضة وغير ذلك في مواسم الحج، ويعرفون بالتشدد في تطبيق الشرائع الدينية والتقيد بها، وهم ينتمون إلى القبائل التالية: كنانة؛ خزاعة؛ بني عامر؛ ثقيف؛ جديلة قيس[2]. أما فئة الحكماء، فهم من أذعن لهم العرب وانقادوا لأحكامهم، وامتازوا بالعلم والحكمة والعقل، وبفضل ذلك صاروا مقصدا لحل النزاعات والحكم في قضايا الناس، وبذلك اعتلوا منزلة اجتماعية رفيعة[3].

فيما يخص الطبقة العامة، فهي تضم فئات اجتماعية متعددة، كفئة الرعاة، والمزارعين، والعمال الأجراء. أما الطبقة الثالثة، فهي طبقة الموالي والعبيد والصعاليك. فالموالي قد يكونوا أفرادا أو قبائل مستضعفين، ليس لهم القدرة على دفع أعدائهم، فيدخلون في جوار وحماية قبائل قوية أو أحد أشراف ووجهاء العرب، والجوار يجعلهم من الموالي. ويعتبر النصير مولى سواءً كان فردا أو قبيلة، ينسبون إلى قبائل أخرى لها شرف ومال وقوة، ويصيروا أنصارا وتابعين، ويقطعون صلتهم بنسبهم الأصلي[4]. أما فئة العبيد تشكلت من السبي وتجارة العبيد، وقد عانت هذه الفئة من سوء المعاملة وقسوة العبودية[5].

---

[1] الدّينوري مسلم بن قتيبة، المصدر السابق، ص 319

[2] محمد أسعد طلس، المصدر السابق، ص 75، 94

[3] نفسه، ص 94

[4] نفسه، ص 87

[5] نفسه، ص 93

في حين أن فئة الصعاليك، هم من نبذتهم قبائلهم أو احتقرتهم، وعانوا من الفقر والجوع، لهذا اشتهروا بالإغارة وقطع الطرق والسبي، ومن هؤلاء الصعاليك، نذكر: الشنفرى؛ السليك بن السلكة؛ تأبط شرا؛ عمرو بن براقة. كان سيدهم عروة بن الورد، تزوج من امرأة سباها من قومها، وبسبب الفقر اضطر لرهن زوجته عند يهود بني النضير، ودخل خمارة ليشرب. وتجلى الفارق الاجتماعي بوضوح في إحدى الروايات، حين أقدمت الفتاة السّلامية على ضرب الشنفرى وإهانته، لأنه ليس من مقامها الاجتماعي[1].

خلاصة القول، المجتمع العربي لم يخرج عن مجتمعات سائر الأمم، بحيث تعمقت الفوارق الاجتماعية، وتمتعت فئة صغيرة من المجتمع بالمال والنفوذ والشرف، في حين عانى السواد الأعظم من الظلم والفقر والجوع، ورغم هذا كانت الطبقة العامة أحسن حالا من العبيد.

3 . الأسرة ووضع المرأة:

تعتبر الأسرة عماد المجتمع، وفيها تكمن قوته وضعفه، فلا يصلح قوامه إلا بصلاحها. وقد ارتبط وضع الأسرة بالفئة الاجتماعية التي تنتمي إليها، واختلف حال المرأة على حسب طبقتها ومكانتها في المجتمع. من هنا نتساءل: فيم تتجلى أوضاع الأسرة خلال العصر الجاهلي؟ ما هي أنواع الأنكحة التي كانت سائدة؟ كيف كان حال المرأة في المجتمع؟

كان العرب في الجاهلية يحبذون نكاح النساء الغريبات، وحسب ما جاء عند الدّينوري، فإن العرب كانت تقول: " أنكحوا في الغرائب، فإن الغرائب تضوين الأولاد "[2]. ولم يقتصر النكاح على الشباب والكهول، بل أفادت الروايات أن البعض كان ينكح وينجب الولد، وعمره يقارب تسعين عاما[3]. وقد عرف المجتمع أنواعا مختلفة من الأنكحة، نذكر منها:

. نكاح التراضي: يقوم على الرضا بين الرجل والمرأة، بموافقة وليها على شرط وجوب دفع الصداق والمهر. وهذا النوع الوحيد الذي أقره الإسلام، وحرم باقي الأنكحة الفاسدة.

. نكاح الاستبضاع: أن يأمر الرجل زوجته بعد طهرها، لتستبضع من أحد الأشراف، ولا يقربها حتى يتبين له حملها.

---

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص 28- 34

[2] الدّينوري مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 2014، ص 60

[3] نفسه، ص 61

. نكاح الرهط: ينكح المرأة ما يقارب عشرة رجال تختارهم، ثم تنتظر الحمل والوضع، فتنسب الولد لأحدهم، تختاره والدا لولدها.

. نكاح البغايا: إذا حملت إحدى البغايا وأنجبت، تستدعي القائف، الذي يحدد والد ولدها، فينسب الولد إليه[1].

. نكاح الشغار: أن ينكح رجل أخت أو بنت رجل آخر على أن ينكحه في المقابل أخته أو ابنته على شرط أن لا يدفعا الصداق والمهر

. نكاح المتعة: أن يعقد الرجل النكاح على امرأة لأجل معلوم، قد يكون يوما أو بضع أيام، بغية الاستمتاع وقضاء الشهوة

هناك أنكحة أخرى فاسدة، كالجمع بين المرأة وأختها أو عمتها أو خالتها[2].

تجدر الإشارة إلى أن المرأة، حين كانت تُزف إلى بيت زوجها، تحرص أمها على تقديم النصيحة، وتمدها بما خبرته في حياتها الزوجية، ولم يقتصر ذلك على والدة العروس، بل والدها أيضا كان يقدم لها الوصايا والنصيحة بما خبره في حياته الزوجية[3]. فيما يخص الطلاق كانت العصمة وعقدة الزواج بيد الرجل، يمسك ويسرح المرأة متى شاء، وله سلطة مطلقة عليها، وقد استغل بعض الرجال ذلك في ابتزاز أزواجهم، فلا يطلقها إلا بمال تدفعه إليه، والبعض يحرم المرأة على نفسه، فلا يطلقها ويمسكها عنده، لا هي زوجة ولا هي مطلقة، إلا أن العقد الاجتماعي أعطى المرأة حق الخُلع مقابل دفع مال للزوج المخلوع. وكانت عدة المرأة الأرملة سنة، خلالها يحرم عليها أن تقرب الطيب ولا الماء ولا تتزين، وأن تلبس ثيابا رثة، وتظهر الحزن والأسى على زوجها في بيتها، وكان بعض الرجال ينتظروه اقتراب مدة انتهاء عدة المطلقة، فيرجعونها، ثم يطلقونها من جديد نكاية فيها وعقابا لها. ولم يقف الأمر عند هذا الحد من الظلم الواقع على المرأة، بل كان هناك أيضا الإيلاء،

---

[1] ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أربعة أنكحة كانت شائعة في الجاهلية وبينتها: نكاح التراضي؛ نكاح الاستبضاع؛ نكاح الرهط؛ نكاح البغايا. ينظر: الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، رقم 5127، تقديم محمد شاكر، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2004، ص 621

[2] يستدل في ذلك من مجموع الأحاديث النبوية، التي تحرم نكاح الشغار والمتعة، والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها. ينظر: الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، ج1، ط1، تحقيق الإمام النووي، دار الحديث، القاهرة، 1991، ص 1095- 1022

[3] ذكر ابن عبد ربه وصايا أم لابنتها، وكذلك وصايا والد لابنته وهي تزف، يطول ذكرها. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، م6، تحقيق محمد التونجي، ط2، دار صادر، بيروت، 2009، ص 86- 88

حيث كان الرجل يقسم ويحلف أن لا يقرب امرأته، وقد تفوق فترة هجرها أحيانا السنة والسنتين[1].

تجدر الإشارة إلى أن الزوج اقتصرت مهامه على تأمين المعيشة والرزق والحماية، وله الطاعة المطلقة في البيت، أما الزوجة مقهورة ومستعبدة، ولا تتمتع بأي حقوق، وتحمل على عاتقها مسؤولية خدمة زوجها وأولادها وصون بيتها. الجدير بالذكر، أن حرمان المرأة لا يتوقف عند هذا الحد، بل إنها حُرمت حتى من الميراث، وشاع بين بعض القبائل وأد البنات[2]. قال الله تعالى: (وإذَا المَوؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)[3]. ولم يكن الأولاد الذكور أكثر حظا، فبسبب الفقر والحاجة كان البعض يقتل أولاده. وفي ذلك قال الله تعالى: (وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِملاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُم وإِيَاكُم إِنَّ قَتْلُهُم كَانَ خِطْئاً كَبِيراً)[4].

لابد من الإشارة إلى أن بعض النساء كانت لهن منزلة رفيعة في المجتمع، كالعرافة، ونساء الأشراف، ونساء حكماء، وفي هذا السياق، نذكر: هند الإيادية المعروفة باسم ابنة الخس الإيادية، التي اشتهرت بالفصاحة والعلم والحكمة، وكانت عالمة بشؤون الفلاحة والري وعلم الريافة والماشية. فكان يقصدها من لديه مشكلة استعصى عليه حلها[5]. بالإضافة إلى نساء الأشراف كخديجة بنت خويلد رضي الله عنها، التي كانت تملك المال والجاه، وهند بنت عتبة، التي رغم أن أباها أجبرها على زواجها الأول، إلا أنه أذعن لرغبتها في زواجها الثاني، وكانت في رفاهية وسعة عيش. وهناك العرافات، كعرافة يثرب، وعرافة بني سعد على تخوم الشام، وفاطمة بنت عمر عرافة مشهورة من أهل تبالة[6].

خلاصة القول، تعددت الأنكحة التي أفسدت المجتمع، وأضرت بأنساب الناس، والأسوأ ما تعرضت له المرأة من عبودية، وإهانة وحرمان من حقوقها، رغم الأخذ بعين الاعتبار بعض النساء ممن كان لهن امتيازات، لأسباب متعددة، إلا أن الحرمان والظلم طال السواد الأعظم من

---

[1] محمد أسعد طلس، المرجع والجزء السابقان، ص 89

[2] نفسه، ص 88

[3] سورة التكوير، الآية 8، 9

[4] سورة الإسراء، الآية 31

[5] السجستاني، كتاب النخلة، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2002، ص 48؛ ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 246

[6] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 505؛ صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ط1، دار السلام، الرياض، 2009، ص 52

النساء. تجدر الإشارة إلى تأثير الفقر على الأسرة خاصة في الفئات الاجتماعية الفقيرة، مما أشاع ظاهرة خطيرة، تمثلت في قتل أولادهم، لكن ليست سائر الأُسر كانت على هذا الحال.

4 . الأخلاق والعادات والتقاليد:

المجتمع العربي مثله مثل باقي المجتمعات، تميز بأخلاق محمودة ومذمومة، وعرف عادات وتقاليد موروثة، شملت جميع جوانب الحياة، وتضمنت نظما اجتماعية شكلت عقدا اجتماعيا سرى على جميع فئات المجتمع. من هنا نتساءل: ما هي العادات والتقاليد السائدة في المجتمع العربي خلال العصر الجاهلي؟ ما هي الأخلاق التي اشتهر بها هذا المجتمع؟

كان العرب في الجاهلية لهم مراسم معينة في دفن موتاهم، وهذا بغسل الميت بالماء فيه سدر، وبعد الانتهاء من الغسل، يلف الميت في قطعة قماش، ويرمى عليه المسك ويدفن. وتختلف مراسم الدفن على حسب المكانة الاجتماعية والوضع المالي للميت، فعلى سبيل المثال، عبد المطلب غسل بالماء والسدر، ولف بحلتين من حلل اليمن، ثمنها ألف مثقال ذهب، وطرح عليه الكثير من المسك[1]. الجدير بالذكر، أن العرب كان لديهم عادات وتقاليد لا يحيدون عنها، ومن ذلك ضبط التأريخ، فقد أفادت الروايات باتخاذ قريش يوم وفاة جدهم قصي بن كلاب، ابتداء تاريخ أخبارهم، وضبط شؤون أحوالهم، كتاريخ مواليدهم ووفياتهم، وضبط مواثيقهم وعهودهم؛ فكان عرفا سائدا لديهم إلى أن وقعت حادثة عام الفيل، ونظرا لعظمة الحدث وقدسيته، اتخذوه منطلقا لابتداء التأريخ عوضا عن يوم وفاة قصي بن كلاب[2].

تجدر الإشارة إلى أن الأعراف أجبرت القبائل على دفع دية دم القتيل لوليه، وحافظت على شعائر موسم الحج كالطواف ورمي الجمار، والسعي بين الصفا والمروة، وتقبيل الحجر الأسود، والوقوف بعرفة وذبح الأضحية، ولبس المخيط، وتحريم الصيد والقتل والإغارة في الأشهر الحرم، وكذلك طواف العراة حول الكعبة، والذبح على الأنصاب والأزلام[3]. كما شاع في المجتمع التطير في

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 13

[2] نفسه، ص 7

[3] محمد أسعد طلس، المرجع والجزء السابقان، ص 86، 87

أشياء كثيرة، كانوا يرونها تجلب الشؤم، ومن ذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه إذا عطس أحدهم، فإن ذلك يحيل بينه وبين قضاء حاجته، ويمنعه من إنجاز ما كان مقدم عليه[1].

الأمر المثير للاهتمام، أن النُوح على الموتى ظاهرة اجتماعية جديرة بالدراسة، بحيث كانت تقوم به نساء ذات صوت مؤثر في النفوس، ويعد النُوح من المهن المعروفة في المجتمع العربي[2]. والجدير بالاهتمام، أن في احتفالات الأعراس والأعياد والمناسبات، كانت النسوة يلعبن بالمزامر، ويحضر الرجال والصبيان في الوقت الذي تقدم فيه النساء الأطعمة والأشربة، وهذا ما كان يحتفل به أيضا إذا نجب شاعر في القبيلة، فيكون ذلك سبب احتفالها[3]. وكان من عادات العرب، إذا ولد لهم ولد في الليل، يضعونه تحت البُرمة، ولا ينظرون إليه إلى غاية الصباح[4]. وكان اللعب واللهو شائعا في المجتمع، بأشكال مختلفة كاللهو بالقردة في الأسواق، ومن ذلك ما فعله رجل زبيدي في سوق عكاظ[5]. كان من أعراف العرب الاحتكام إلى الأزلام، وضرب القداح في شؤونهم كالختان والنكاح والدفن، فيلجأون إلى صنمهم هبل، ويعطوا صاحب القداح مائة درهم وجزور؛ فيضرب صاحب القداح، فإذا خرج "منكم"، كان وسيطا. وإذا كان "من غيركم"، كان حليفا. وإذا خرج "نعم"، أتموا ما كانوا يرجون القيام به. وإذا خرج "لا"، يؤخرون ما سعوا إليه عاما، ثم يعاودون الكرة مرة أخرى[6].

وقد استخدم العرب الأزلام في حال أصابهم القحط في فصل الشتاء، وتسبب ذلك في قلة اللحوم والألبان، وأصاب الناس ضيق، فكانوا يقبلون على شراء الجزور، ويقسمونه على أربعة أجزاء متساوية، ويضربون القداح أي الميسر وعددها عشرة. سبعة قداح لها أنصب أي حصص من لحم الجزور، وثلاثة قداح لا أنصب لها. فأما القداح السبعة، فأسماؤها وحصصها من لحم الجزور، هي على الترتيب التالي: " الفَذّ، وله جزء؛ التوأم، وله جزآن؛ الرقيب، وله ثلاثة أجزاء؛ الحلس، وله أربعة أجزاء؛ النافس، وله خمسة أجزاء؛ المسبل، وله ستة أجزاء؛ المعلّى، وله سبعة

---

[1] الدّينوري مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، م2، ضبط محمد نبيل، ط1، دار صادر، بيروت، 2011، ص 373

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، م2، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978، ص 361

[3] ابن رشيق القيرواني، المصدر والجزء السابقان، ص 65

[4] المقدسي أبو طاهر، البدء والتاريخ، تحقيق كليمان هورت، دار ابن النديم، الجزائر، وهران، 2011، ص 572

[5] الدّينوري مسلم بن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص 332

[6] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 503، 504

أجزاء. والثلاثة التي لا أنصب لها أغفال ليس عليها اسم، يقال لها: المنيح؛ السفيح؛ الوغد"[1]. وكان لا يدفع ثمن الجزور، إلا بعد ضرب القداح، ويقوم الجزار بتقطيعها إلى عشرة أجزاء متساوية بعد أن يأخذ الرأس والأرجل. تجدر الإشارة إلى اجتماع الناس في فرق، ويتقدم فتى عن كل فرقة، يختار القدح على حسب قدرتهم وحاجتهم، فإن أصاب أخذ على قدر عدد أسهم القداح، أما إن خسر غُرّم على قدر ثمن تلك الأسهم، أما إذا أصاب أحد الأغفال الثلاثة المذكورة سابقا، أعيد ضرب القداح من جديد. بناءً على ذلك، نعتقد أن العرب يفتخرون بلعب الميسر، ويعتبرونه من أفعال الكرم والشرف، لأن لحم الجزور، يوزع على الناس، ويشبع حاجتهم من اللحم ويهون عليهم ضيق العيش[2].

الجدير بالتذكير أن العرب احتكموا إلى الكهنة والحكماء، كما نذكر من مكارم أخلاق العرب وعاداتهم إطعام الناس في مواسم معينة، ومن ذلك أن لبيد بن ربيعة كان ينحر مائة من الإبل عند هبوب رياح الصبا لإطعام الناس، وكان الوليد بن عقبة أعطاه مائة من الإبل، لنحرها وإطعام الناس، لما قل ماله ولم يجد لذلك العرف سبيلا[3].

تعددت مكارم الأخلاق عند العرب كالكرم، والوفاء بالعهود والمواثيق، والالتزام بالوعد، وحفظ الأمانة والوديعة، والإباء والصدق والنفور من الكذب والخداع[4]. وفي المقابل انتشرت في المجتمع أخلاقا سيئة مذمومة، كالدعارة، فقد أنشأ بعض الأشراف، الذين كانوا يملكون جواري بغايا دورا للدعارة، بل أكثر من ذلك، كان إذا أنجبت إحداهن يباع ولدها، ومن هؤلاء، نذكر عبد الله بن جدعان، الذي امتلك دارا للدعارة[5]. كما كانت تنتشر في أوساط العرب العادة السرية[6]. هذا بالإضافة إلى أخلاق مذمومة أخرى كالسرقة، ووأد البنات وقتل الأولاد بسبب الفقر، والباهلة، والزنا، وإتيان الفاحشة، ودخول البيوت دون استئذان أهلها، وعدم الوفاء بالنذور، وطواف الناس عراة حول الكعبة[7].

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، م1، ص 259

[2] نفسه، ص 259، 260

[3] ابن رشيق القيرواني، المصدر والجزء السابقان، ص 82

[4] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 47

[5] الدّينوري ميلم بن قتيبة، المعارف، المصدر السابق، ص 319

[6] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 345

[7] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 10، 11

وقد ذكر اليعقوبي أن عبد المطلب وضع مكارم الأخلاق، فحرم السرقة وأوجب قطع يد السارق تأديبا وعقابا له، ودعى الناس إلى الاستئذان قبل دخول البيوت، ونهى عن وأد البنات وقتل الأولاد، ونهى عن شرب الخمر والزنا، ودعى إلى نفي البغايا، ووضع حد للفاحشة، وحرم نكاح المحارم، وأوجب دفع دية القتيل وحددها بمقدار مائة من الإبل. نعتقد أن بعض ما ذكره اليعقوبي مبالغ فيه، لانفراده ببعض هذه الأخبار دون سائر المصادر، ويبدو أن الكثير مما ذكره اليعقوبي كان موجودا قبل عبد المطلب بكثير[1].

خلاصة القول، المجتمع العربي في العصر الجاهلي، امتاز عن سائر المجتمعات ببعض الأخلاق الحميدة، التي مردها إلى طبيعة المجتمع القبلي، والتي ساهمت في دفع الظلم واستمرارية الحياة في جزيرة العرب رغم قسوتها، ووثقت الروابط الاجتماعية، إلا أن هذا المجتمع عرف أيضا بعض الأخلاق الذميمة، التي نهى عنها الإسلام، في الوقت الذي أقر فيه كل خُلق حميد.

5 . اللباس والغذاء:

الإنسان بطبيعته يحتاج في حياته إلى اللباس والطعام، وقد اختلفت المجتمعات في ذلك، حسب عاداتها وتقاليدها، وطبيعة البيئة التي تعيش فيها، ومن ذلك المجتمع العربي، الذي كانت له خصوصية في اللباس والطعام، بما يتناسب مع طبيعة الجزيرة العربية وتواصله مع البلاد المجاورة. من هنا نتساءل: ما هي أنواع الألبسة التي كانت متداولة في المجتمع العربي؟ ما هي أصناف الأطعمة والأشربة التي تناولها العرب؟

الجدير بالذكر، تعدد أنواع الألبسة في المجتمع، ومن ذلك، نذكر: الجُبَّة، والعمامة، بحيث كانوا يفضلون لبس عمامة الخزّ، وكذلك لبس المطرف[2]. وقد تعددت الجُبَّة وتنوعت، فمنها جُبَّة مركبة، وجُبَّة مصنوعة من الصوف، وجُبَّة وشي. كما كان هناك الرداء، حيث يحبذ البعض لبس رداء وشي، ويضعون حزاما من عقال[3]. وفي هذا السياق، كان شائعا ارتداء رداءً وعمامة، واستخدام الزعفران في صبغة الألبسة، بالإضافة إلى ذلك نذكر البُردة، والمطرف المصنوع من الخز، ولف رداء، ولبس القميص[4].

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 10، 11

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، م2، ص 192

[3] الأصفهاني، الأغاني، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952، ص 249- 330

[4] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 233

الجدير بالاهتمام، أن العرب لم يكتفوا بلبس أحسن الثياب خاصة الأشراف والأثرياء منهم، بل صاحب ذلك التزين والتطيب، ومن ذلك تخضيب اللحية وصبغتها بأخلاط من الطيب، وفرشها حتى تتمكن منها الصبغة، وكان هذا في أغلب الأحيان من عمل الجواري، بالإضافة إلى استخدام زيت الزيتون في دهن الشعر، وكان النساء يتزين بالكحل، ودهن شعرهن وتخضيبه؛ فكان الناس حريصين على التزين والتطيب، ويحرصون على الاهتمام بشعرهم، ولبس العمائم الحسنة، ويتطيبون بأفضل الطيب، ويهتمون بلحاهم، ويحرصون على الظهور بأحسن هيئة[1].

فيما يخص الأطعمة والأشربة، كان إقدام العرب على أكل السويق، ويحبذون خلطه مع النبيذ، وشرب الحريرة، وأكل سائر اللحوم من دجاج ونعام وبط وماعز وبقر[2]، إلا أنهم يفضلون أكل لحم الضأن على لحم الماعز، لاعتقادهم أن لحم الماعز يورث النسيان والهم، ويشوش عقول الصبيان، ويحرك في المرء السوداء ويفسد الدم، وكان المصابون بالصرع يتجنبون أكل لحم الضأن، لاعتقادهم أنه يزيد من نوبات الصرع. وقد سئلت يوما ابنة الخس الإيادية:" ما تقولين في مئة من المعز؟ قالت: قِنّى. قيل: مئة من الضأن؟ قالت: غنى. قيل: فمئة من الإبل؟ قالت: مُنى"[3].

الأمر المثير للاهتمام، أنه كانت تقام الولائم، يقدم فيها أصناف مختلفة من الطعام، بالإضافة إلى الشواء[4] والنبيذ، وكان الثريد من أشهر الأطعمة المفضلة في المجتمع، ويحتوي على خبز مهشم في مرق ولحم، والكثير من أعراب البادية يفضلون أكل اللحم وترك المرق، ويسمى عندهم المرق بالسخين، لأنهم يأكلونه ساخنا قبل أن يبرد[5]. وتجدر الإشارة إلى أنهم كانوا يأكلون الشاة كاملة، إلا دماغ الرأس، فإنهم كانوا يكرهون أكله[6]. وكانت مشوشة وقِلية ونبيذ التمر من أشهر الأطعمة والأشربة؛ وقِلية عبارة عن مرقة تصنع من أكباد الجزور ولحمه، أما مشوشة عبارة عن زيت مع بياض البيض، ويحضر بها طعام دسم، وكانت تقدم في مجالس الضيافة[7].

---

[1] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابق، ص 235، 236

[2] الدّينوري مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، المصدر السابق، ج3، ص 171

[3] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 246

[4] نفسه، ص 8

[5] الدّينوري مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، المصدر السابق، ج3، ص 171

[6] نفسه، ص 167

[7] الأصفهاني، المصدر والجزء السابقان، ص 249

لابد من الإشارة إلى أن أعراب البادية، كانوا يُؤَمِنُون كذلك معيشتهم من الصيد والقنص، وقد أفادت إحدى الروايات أن الأعراب أكلوا لحم الضبي والذئب والضبع والضب. وفي ذلك قال أحد الأعراب:" نأكل ما دب ودرج إلا أم حنين"[1]. وقد صدق هذا الأعرابي في قوله، إذا أخذنا بعين الاعتبار ظاهرة الجفاف والفقر، التي أرهقت العرب بالأخص أهل البوادي، لهذا لجأ الأعرابي إلى أكل كل ما يسد رمقه ويكبح جوعه، وبسبب هذا الوضع أقدم الأعراب حتى على أكل الحيات والأفاعي والجرد وفراخ الزنابير[2]. وقد توفر لدى العرب أنواع مختلفة من الثمار كالتمر، والعنب، والباقلي، والجوز، وغيرها من ثمار الجزيرة العربية أو المجلوبة من البلاد المجاورة، كما يعد اللبن والأقط (الجبن) والسمن من الأطعمة الأساسية[3].

تجدر الإشارة إلى توفر أنواع من العصير، كل نوع حسب الثمار التي عُصر منها، وكانوا يفخرون بشربهم الخمر، الذي كان يصنع من أنواع الثمار المختلفة كالتمر والشعير والكرم وغيرها. وفي ذلك رواية أفادت بأن قيصر روما سأل قيس بن ساعدة:" أي الأشربة أفضل عاقبة في البدن؟ قال: ما صفا في العين، واشتد على اللسان، وطالت رائحته في الأنف، من شراب الكرم"[4]. أما الأواني فكانت كثيرة ومتنوعة، فعلى سبيل المثال، القدر، والعُس الذي كان توضع فيه الحريرة، والعُكة، والتَور الذي كان عبارة عن إناء كبير يستخدم للاستحمام، أما الجراب كانت تستغل لتخزين الطعام كالسويق. ولا يسعنا في هذا الموضوع ذكر باقي الأواني التي تعددت استخداماتها[5].

خلاصة القول، تعددت أصناف الأطعمة والأشربة، ولبس العرب أنواعا مختلفة من أجمل الألبسة، واهتموا بالزينة والطيب، وهذا حسب اختلاف منازلهم الاجتماعية ومواردهم المالية، ويُبرز هذا صورة واضحة على تمسك العرب بالحياة على الرغم من قسوة الطبيعة، وشيوع أزمة الجفاف والفقر.

6 . الغناء ومجالس الأنس:

---

[1] الدّينوري مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، المصدر السابق، ج3، ص 161

[2] نفسه، ص 162- 164

[3] نفسه، ص 173

[4] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 342

[5] الدينوري، عيون، المصدر السابق، ج3، ص 171

ليس بالإمكان الحديث عن المجتمع العربي في العصر الجاهلي، دون التطرق إلى الغناء والطرب، وما ارتبط بهما من مجالس الأنس وحفلات الأعراس والختان ومجالس الضيافة. من هنا نتساءل: كيف كان حال الغناء والطرب في المجتمع العربي خلال العصر الجاهلي؟

كان الغناء في المجتمع شائعا على ثلاثة أوجه: النّصب، غناء الفتيان والركبان، وهو أصل غناء الحداء، الذي كان الأكثر انتشارا في جزيرة العرب. أما السّناد، هو الغناء الثقيل ذو الترجيع كثير النغمات. أما الوجه الثالث، هو الهزج، خفيف الغناء، يستخدم فيه الدُّف والمزمار، فيطرب الناس، ويرقصون عليه، ويستخف الحليم[1].

وقد انتشر الغناء مصحوبا بآلات الطرب في الكثير من أمصار جزيرة العرب، نذكر منها: الطائف؛ يثرب؛ خيبر؛ فدك؛ وادي القرى؛ دومة الجندل؛ اليمامة. الأمر المثير للاهتمام، أن هذه الأمصار احتوت على أشهر أسواق العرب، التي استهوت الشعراء والمغنين والمطربين[2]. والغناء في بدايته اختص به الإماء، وأول من غنى ولحن في مجتمع الجزيرة العربية، جاريتان لمعاوية بن بكر من قبيلة عاد، وهم من العرب البائدة، كانتا تلقبان بالجرادتين[3].

الجدير بالاهتمام، أن هناك بعض أشراف العرب امتهن الغناء، وبرع في استخدام آلات الطرب كضرب العود، أمثال: الحارث بن كلدة؛ النضر بن الحارث بن كلدة؛ الحكم بن أبي العاص؛ حريث بن عمرو؛ أبو عمرو بن حريث؛ قيس الفهري أبو الضحاك بن قيس؛ معمر بن عثمان؛ سرين أبو محمد بن سرين[4]. وقد جلب النضر بن الحارث من الحيرة آلة العود ذات التجويف الخشبي، التي حلت محل آلة المزهر في حفلات الأعراس والختان وبالأخص مجالس الأغنياء، ووجهاء العرب وأشرافهم[5]. ومن آلات الطرب، التي استخدمت مصحوبة بالغناء في مجالس الأنس والاحتفالات، نذكر: المزهر؛ المزمار؛ العود؛ الدُّف؛ الناي الطويل؛ المعزفة؛ الصنوج الصغيرة؛ القضيب؛ الطنبور؛ الكران؛ الكُوَتّر؛ الجلاجل؛ الطبل؛ الناقوس[6].

---

[1] ابن رشيق القيرواني، المصدر والجزء السابقان، ص 314؛ الإبشيهي، المستظرف في كل فن مستطرف، تحقيق محمد خير طعمة، ط5، دار المعرفة، بيروت، 2008، ص 556

[2] الإبشيهي، المصدر السابق، ص 556

[3] قسطندي رزق، الموسيقى الشرقية والغناء العربي، دار كلمات عربية، القاهرة، دون تاريخ، ص 37

[4] الدينوري، المعارف، المصدر السابق، ص 319

[5] جورج هنري فارمر، تاريخ الموسيقى العربية، ترجمة حسن نصار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص 24، 63

[6] نفسه، ص 10، 11، 12، 13، 14، 15، 60، 61

خلاصة القول، كان العرب يحبون الاستمتاع بالغناء والموسيقى في مجالسهم، كمجالس الأنس والأعراس وحفلات الختان، وكذلك مجالس الضيافة، وكان حب الغناء والموسيقى تأثيره عميقا في كافة شرائح المجتمع خاصة ما يعرف بغناء الحداء.

في ختام الموضوع، عانى المجتمع في بيئة قاسية، انعدم فيها الأمن الاجتماعي بسبب كثرة الحروب والإغارة والسطو والسبي من جهة، ومن جهة أخرى شدة قسوة الطبيعة، التي صار فيها القحط والجفاف ملازما لحياة العرب، ونجم عن ذلك كله العطش والجوع والفقر. وما زاد مأساة العرب ما لحق بالفئات الاجتماعية الدنيا والضعيفة من فقر واحتقار، وكذلك الظلم والاستبداد، الذي وقع على المرأة، إلا أن هذا لا يعني أنه لم يتخلله الاستقرار، بفضل حكماء وعقلاء العرب، ووضع آليات لتنظيم حياتهم وموارد رزقهم. وكان العرب يستمتعون بالغناء والموسيقى في مجالسهم، وكذلك اللهو والرقص على أنغام الموسيقى المصحوبة بالغناء. كما شاع التزين والتطيب، ولبس أفضل الألبسة، وتقديم أفَل الأطعمة والأشربة، ومحاولة تحسين ظروف العيش بمختلف السبل.

الفصل الثاني: السيرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية

أولا: السيرة النبوية قبل البعثة

1 . نسبه ومولده الشريف

2 . رضاعته وكفالته

3 . العلامات والإشارات الدالة على النبوة

4 . الأحداث التي عاشها الرسول قبل البعثة

ثانيا: السيرة النبوية بعد البعثة

1 . الدعوة السرية

2 . الدعوة الجهرية

1.2 . الدعوة الإسلامية قبل الهجرة

2.2 . الدعوة الإسلامية بعد الهجرة وبناء الدولة

أولا: السيرة النبوية قبل البعثة

بُعث الأنبياء والرسل إلى الناس يدعونهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، ويعد محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والرسل، بُعث إلى الناس أجمعين، وقد دلت علامات على ثبوت نبوته، وكان مبعثه بمكة، التي شهد فيها الكثير من الأحداث. من هنا نتساءل: ما هو نسبه الشريف؟ ما هو تاريخ مولده؟ من قام برضاعته والتكفل به؟ ما هي العلامات والإشارات التي دلت على نبوته؟ ما هي الأحداث التي عاشها قبل البعثة؟

1 . نسبه ومولده الشريف:

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدَّ بن عدنان. وينتهي النسب إلى إسماعيل بن إبراهيم عيهما السلام[1].

تجدر الإشارة إلى وفاة والده عبد الله بن عبد المطلب بيثرب، حين كان عائدا من الشام في تجارة، ودفن في دار النابغة، وترك زوجته آمنة بنت وهب حاملا بمحمد صلى الله عليه وسلم. وكان مولده يوم الإثنين 8 ربيع الأول من عام الفيل. وقيل: يوم 12 ربيع الأول. وقيل أيضا: يوم 2 ربيع الأول[2].

2 . رضاعته وكفالته:

أول من أرضعته بعد أمه ثويبة مولاة أبي لهب، وذلك لعدة أيام، ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب، التي انقلب حالها وحال قبيلتها من الفقر والبؤس إلى كثرة الخير والرزق، وهذا بعد احتضانها الرسول صلى الله عليه وسلم. وبقي عند بني سعد إلى أن وقعت الحادثة المشهورة باسم حادثة شق الصدر، وقام الملكان بغسل قلبه من العلقة السوداء. وهذه الحادثة أجبرت حليمة السعدية على إعادة محمد عليه الصلاة والسلام إلى أمه، وعمره حوالي 4 سنوات. وتجدر الإشارة

---

[1] ابن إسحاق محمد، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 18- 20؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، ص 5؛ ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، مختصر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق أحمد جمعة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011، ص 145

[2] ابن هشام، المصدر والجزء السابقان، ص 167؛ ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 99- 102؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 7؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 146، 147؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 572؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 507؛ العاقولي محمد، الرَّصفُ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الفعل والوصف، ج1، ط1، دار الرسالة، بيروت، 1994، ص 31- 38

إلى إخوته من الرضاعة من أولاد حليمة السعدية، نذكر: عبد الله بن الحارث؛ أنيسة بنت الحارث؛ خذافة، وهي الشيماء. أما باقي إخوته من الرضاعة، ممن أرضعتهم ثويبة، نذكر: عمه حمزة بن عبد المطلب؛ جعفر بن أبي طالب؛ أبو سلمة عبد الأسد المخزومي[1]. فيما يخص كفالته، فإن أول من كفله جده عبد المطلب، وماتت أمه حين كانت عائدة من يثرب، ودفنت في الأبواء، وعمره آنذاك حوالي 6 سنوات، وقد حضنته أم أيمن بركة، وعاش في كنف جده حتى بلغ من العمر ما يقارب 8 سنوات، فتوفي جده وكفله عمه أبو طالب[2].

3 . العلامات والإشارات الدالة على النبوة:

. وقوع زلزال ضرب جميع البلدان، فهدم الكنائس والبيع، وجميع أماكن العبادة، التي لا يعبد فيها الله تعالى

. سقوط ثلاث عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت نار المجوس، التي لم تنطفىء لأكثر من ألف عام

. شهدت قريش انفضاض الكواكب، وظهور نجوم لم تر من قبل ليلة مولده عليه السلام

. رُجمت الشياطين وحُبست ليلة ولادته عليه السلام، ودل على ذلك عجز السحرة والكهان على كشف الأسرار والإحاطة بالأخبار

. رأت أمه أثناء ولادته نورا خرج منها أضاء قصور الشام

. حادثة شق الصدر، وكان عمره لا يتجاوز 4 أو 5 سنوات، وقعت حين كان عند مرضعته حليمة في قبيلة بني سعد. وقد جاء في الرواية نزول ملكان أو الملك على صورة رجل، فشق بطنه وغسل جوفه بعد أن غسل قلبه من العلقة السوداء

. خاتم النبوة بين كتفيه، وشهادة الراهبين بحيرى وسطورا من بصرى الشام على ثبوت نبوته، لرؤيتهما علامات وإشارات النبوة ثابتة فيه[3].

---

[1] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 100، 101؛ ابن هشام، المصدر والجزء السابقان، ص 169- 173؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 9، 10، 573؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 148

[2] العاقولي، المصدر السابق، ص 34؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 147؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 573؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 509؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 10، 13، 14

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 8، 9، 10؛ ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 97، 102؛ ابن هشام، المصدر والجزء السابقان، ص 173، 175، 217؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 146- 149؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 527، 529؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر والمجلد السابقان، ص 394، 395

. انشقاق القمر أمام مرأى قريش، وهذا حين أرادوا أن يظهر لهم محمد صلى الله عليه وسلم آية ليعجزوه، فأخبرهم بانشقاق القمر، فأذهلهم ذلك[1].

. الرؤيا التي رآها حكيم الفرس، ليلة مولده عليه الصلاة والسلام. إذ رأى:" إبِلاً عِراباً تقود خيلا صِعابا، حتى قطعت دجلة وانتشرت في البلاد". فلما بلغ ذلك كسرى الفرس أنوشروان، تملكه الخوف، وسارع إلى البحث عن تأويل الرؤيا وتفسيرها؛ فبعث رسولا إلى ملك الغساسنة، وطلب منه أن يدله على أحد كهان العرب؛ فدله على سطيح الغساني، أشهر كهان العرب بدمشق. طلب منه كسرى أنوشروان أن يبعث إليه رجلا فصيحا من عقلاء العرب؛ فوقع اختياره على رجل يسمى عبد المسيح، وقد أدرك هذا الأخير الكاهن سطيح الغساني على فراش الموت، فإذا به يخبره سبب قدومه، وأخبره تأويل الرؤيا، بزوال ملك فارس وبلاد الشام، وربط ذلك بظهور ثلاث علامات أو إشارات، ذكرها على النحو الآتي:" إذا غاصت بحيرة ساوة، وظهرت التلاوة بأرض تهامة، وظهر صاحب الهراوة ..."[2].

. بشرت بمبعثه الكتب السماوية، وجاء فيها أن اسمه أحمد. وفي هذا السياق، أفادت إحدى الروايات بوفود رجل من أهل الكتاب على سادت قريش، أمثال: عتبة بن ربيعة؛ الوليد بن المغيرة؛ هشام بن المغيرة؛ فسألهم إن ولد صبيا في مكة وسمي أحمد، ولما رآه أكد لهم أنه النبي المذكور في كتبهم

. وفود عبد المطلب وعدد من أشراف قريش على ملك اليمن سيف بن ذي يزن، وكان من أهل الكتاب؛ فاستقبلهم ثم انفرد بعبد المطلب وبشره بظهور نبي فيهم، وذكر له اسمه وصفته، كما جاء ذكره في الكتب السماوية، فكبر عبد المطلب وسجد، ثم أجابه أن الاسم والصفة تنطبق على ابن ولده، فحذره الملك من اليهود وقومه، وطلب منه كتمان الأمر

لهذا نجد أن عبد المطلب، كان يكن حبا عظيما لحفيده محمد صلى الله عليه وسلم، حتى أنه كان يجلسه في مجلسه وعلى فراشه، ويقدمه على جميع أولاده، ويحضهم على حبه وتعظيم شأنه ومقامه[3].

---

[1] العاقولي، المصدر السابق، ص 53

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 8

[3] نفسه، ص 9، 12

. حسب ماورد عند اليعقوبي، فإن أبا طالب كان يعلم أن محمدا عليه الصلاة والسلام نبيا، بما أخبره به أبوه عبد المطلب، وأوصاه بحمايته من اليهود وقريش؛ فإذ بحادثة أخرى ترسخ نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، حين رأى عليه السلام وعمره حينئذ حوالي عشرين عاما في منامه، رجلا يأتيه بصحبة رجلين. " فيقولان: هو هو، وإذا بلغ فشأنك به، والرجل لا يتكلم". وقد لجأ أبو طالب إلى أهل العلم، وقد يكون هؤلاء من الحنيفية أو النصارى، ونستبعد من ذلك اليهود. ففي نظرنا أن عبد المطلب حذر أبا طالب من وصول خبر محمد عليه الصلاة والسلام إلى اليهود، لهذا تحاشى اللجوء إليهم في تفسير هذه الرؤيا. وقد أكد له رجل من أهل الكتاب أن صاحب الرؤيا نبي، فأوصاه أبو طالب بكتمان الأمر[1].

4 . الأحداث التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة:

تجدر الإشارة إلى أن الرسول صلى الله عيه وسلم، عاش الكثير من الأحداث في حياته قبل البعثة، نذكر منها:

. سافر مع عمه أبي طالب إلى الشام في تجارة، وعمره يقارب 13 أو 19 سنة، لكن حين بلغ بصرى الشام، خاف عليه عمه وأعاده إلى مكة، بسبب ما أخبره به الراهب بحيرى على أنه آخر الأنبياء والرسل، وأوصاه بكتمان أمره والرجوع به إلى مكة[2].

. حرب الفجار:

الجدير بالذكر وقوع حادثتين، الأولى لم يحدث فيها قتال، أما الثانية وقعت فيها معركة في شهر حرام، وسميت بالفجار بسبب انتهاك حرمة الشهر الحرام. وقد دارت بين قريش وكنانة تحت إمارة حرب بن أمية وبين قيس عيلان، واختلفت الروايات حول عمر الرسول صلى الله عليه وسلم، حين شارك فيها. فقيل: 14 عاما. وقيل: 15 عاما. وقيل أيضا: 20 عاما. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينبل لأعمامه، وانتهت المعركة بانتصار قريش[3].

. حلف الفضول:

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 8- 14

[2] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 122- 127؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 149؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 574؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 526، 527

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 15، 16؛ ابن هشام، المصدر والجزء السابقان، ص 195- 197؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 574؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 60

اجتمع شيوخ ورؤساء كل من : بني مناف؛ بني أسد؛ بني تيم؛ بني زهرة؛ بني الحارث بن فهر، في دار عبد الله بن جدعان التيمي، وسبب ذلك، أن رجلا من بني أسد بن خزيمة باع بضاعة لرجل من بني سهم في مكة، فظلمه ولم يعطه حق البضاعة، فصاح في الناس يستصرخهم ويستنجد بهم. وقيل أن الرجل من قيس بن شيبة السلمي، اغتصب حقه أبو خلف الجمحي. وقد سمي هذا الحلف بالمطيبين، لأنهم تعاهدوا على نصرة المظلوم في مكة، وغمسوا أيديهم في طيب، أعدته لهم عاتكة بنت عبد المطلب، وقيل أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد شهد هذا الحلف وباركه[1].

. زواجه من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

الجدير بالذكر أنه خرج في تجارة لها مع غلامها ميسرة، فالتقوا في بصرى الشام مع الراهب سطورا، الذي أخبر ميسرة بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام؛ فلما عادا، أخبرها ميسرة بما أنبأه به الراهب، وهذا بالإضافة إلى أنها رأت فيه كل الخصال الحميدة من صدق وأمانة ووفاء، فعرضت عليه الزواج، وتقدم محمد عليه الصلاة والسلام لخطبتها وتزوجها، وكان عمره 25 عاما، وهي تكبره بحوالي 15 عاما. وقد أنجبت منه: القاسم؛ زينب؛ رقية؛ أم كلثوم؛ فاطمة.[2].

. بناء الكعبة:

قررت قريش هدم الكعبة وإعادة بنائها، وجلبوا بناءً روميا اسمه باقوم، وسبب ذلك يعود إلى سرقة محتوياتها، لأنها لم يكن لها سقف، وجدرانها لا تزيد عن 3 أذرع، وكان قد أصاب الوهن بنيانها، بسبب قدمها وما تعرضت له من أهوال الطبيعة كالسيول، واتفقوا على أن كل قبيلة تساهم في بنيانها بجمع الحجارة على حدة؛ فلما بلغوا من البناء موضع الحجر الأسود، اختلفوا حول من يضعه، حتى كاد أن ينشب بينهم القتال، فاقترح عليهم الوليد بن المغيرة المخزومي أن يتولى هذا الأمر أول من يقبل عليهم من باب المسجد، فكان محمد عليه الصلاة والسلام أول الداخلين، فحكموا أمرهم إليه، وقالوا هذا الصادق الأمين، فوضع رداءه وطلب أن يمسك رئيس كل قبيلة

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 17؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 60

[2] ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 149؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 576، 577؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 20؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 529، 530

طرفا من الرداء، ورد بيديه الشريفتين الحجر الأسود إلى مكانه. فكان ذلك حدثا عظيما، وإقرارا من رؤساء وأشراف قريش بمكانتة محمد عليه الصلاة والسلام وصدقه وأمانته[1].

خلاصة القول، إن علامات النبوة ظاهرة جلية في سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي كان حاضرا في معظم الأحداث الكبرى التي شهدتها مكة، وكان أشرافها شهودا على الأخلاق الفاضلة، التي اجتمعت فيه، وهذا كان حجة عليهم فيما ادعوه على النبي صلى الله عليه وسلم بعد البعثة.

ثانيا: السيرة النبوية بعد البعثة

اختار الله عز وجل محمدا عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء والرسل، وأظهر للناس علامات نبوته، وحباه من دون سائر البشر، وشرفه بالوحي والقرآن، فحمل أعباء نشر رسالة الحق بين قومه، ودعا الناس أجمعين إلى التوحيد. من هنا نتساءل: ما هي مراحل الدعوة الإسلامية؟ ما موقف قريش من الإسلام؟ ما هي أهم الأحداث التي شهدتها الدولة الإسلامية الناشئة؟

1 . الدعوة السرية:

دامت هذه الدعوة في مكة ما يقارب 3 سنوات[2]. ومن دلائل اقتراب البعثة وابتداء الدعوة أن الشجر والحجر كانا يسلمان عليه، ، وكان رسول الله يخرج شهرا كل سنة، ينسك فيها بغار حراء، ويطعم من لجأ إليه من المساكين، وحين حل شهر رمضان وهو بالغار، جاءه جبريل عليه السلام، ونزل عليه الوحي، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(جاءني وأنا نائم فقال: اقرأ قلت: ما أقرأ؟ حتى ظننت أنه الموت. ثم كشطه عني فقال: اقرأ قلت: وما أقرأ؟ فعاد لي بمثل ذلك، ثم قال: اقرأ فقلت: وما أقرأ؟ وما أقولها إلا تنجيا أن يعود لي بمثل الذي صنع بي فقال:{اِقْرَأْ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اِقْرَأ وَرَبُكَ الأَكرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالمْ يَعْلَمْ}[3] انصرف عني، وهببت من نومي، وكأنما صوَّر في قلبي كتاب)[1].

---

[1] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 150- 162؛ ابن هشام، المصدر والجزء السابقان، ص 209، 210؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 19؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 149؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 517؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 530، 531؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 395؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 62؛ محمد أسعد طلس، المرجع والمجلد السابقان، ص 130

[2] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 555؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 65

[3] سورة العلق، الآية 1- 5

فلما خرج من الغار، سمع مناديا من السماء يناديه أنت رسول الله وأنا جبريل. فرجع إلى بيته فزعا وأخبر زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ما لقيه في الغار، فانطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان عالما بالتوراة والإنجيل؛ فلما أخبرته قال لها إنه خاتم الأنبياء والرسل[2]. وحسب بعض الروايات فإن أول ما فُرِضَ صلاة الظهر، وعلمه جبريل عليه السلام كيفية الوضوء والصلاة، وذلك يوم الجمعة[3]، وتفيد روايات أخرى أن الصلاة أول الأمر كانت تقام، صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل الغروب، تقام ركعتين ركعتين، وبقي هذا الحال إلى غاية وقوع الإسراء وفرض الصلوات الخمس[4].

تجدر الإشارة إلى أن أول من أسلم من أهل بيته، خديجة بنت خويلد، ثم علي بن أبي طالب، ثم زيد بن حارثة، ومن خارج بيته كان أبو بكر الصديق صاحبه في الجاهلية والإسلام، والذي عرض الإسلام على أصحابه، فستجاب لأبي بكر رضي الله عنه، كل من عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، فهؤلاء الثمانية، هم أول من آمن بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام. ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبو مسلمة عبد الله بن عبد الأسد، وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله، ثم انتقلت الدعوة سرا وانتشرت بين الناس. تجدر الإشارة إلى أن اليعقوبي يخالف المصادر السنية فيما يخص الثمانية، الذين آمنوا بالنبوة[5]. الجدير بالذكر أن المسلمين كانوا يقيمون الصلاة

---

[1] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 168؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 22؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 536، 540، 541، 544؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 66، 67؛ محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 5، 6

[2] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 169؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 22، 23؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 542، 543؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 68

[3] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 169، 170؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 23، 24؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 545

[4] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 7؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 74

[5] العاقولي، المصدر السابق، ص 47؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 552؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 23؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 397؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 73، 74؛ محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 7

خفية في شعاب مكة، ورغم أن هذا الأمر بلغ مسامع أشراف وزعماء قريش، إلا أنهم استهانوا به، ولم يبدون أهمية لذلك، واعتبروه أمرا هينا[1].

2 . الدعوة الجهرية:

1.2 . الدعوة الإسلامية قبل الهجرة:

استغرقت الدعوة الجهرية عشر سنوات بمكة، وعشر سنوات بالمدينة بعد الهجرة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتبع في دعوته ما يوحى إليه ويؤمر به، وبعد انقضاء ثلاث سنوات من الدعوة سرا، أمره الله عز وجل أن يجهر بها، ابتداءً من عشيرته الأقربين. قال الله تعالى:{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}[2]. وقد لبى الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر، ودعا بني هاشم وأعمامه، وأعد لهم طعاما، إلا أنه لم يعرض عليهم الإسلام، بسبب مقاطعة أبي لهب. ثم عاود دعوتهم مرة ثانية، وعرض عليهم الإسلام، وكانت نتيجة هذا الاجتماع أن تعهدوا بحمايته والذود عنه[3].

فلما تم له ذلك، أجهر الدعوة في مكة، فصعد جبل الصفا وصاح في الناس، ولما اجتمعوا حوله، دعاهم إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان[4]. والجدير بالذكر، أن الله تعالى أمره بجهر الدعوة في مكة، بقوله تعالى:{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ واعْرِضْ عَنِ المشْرِكِينَ}[5]. هذا الحدث أرعب أشراف قريش، واجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة، وقالوا نخاف مما جاء به محمد وموسم الحج قريب، "فقالوا له نقول أنه كاهن. فقال: لا، والله ما هو بكاهن ... قالوا: نقول مجنون. قال: ما هو بمجنون... قالوا نقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر... قالوا نقول: ساحر قال: ما هو بساحر... قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن قوله لحلاوة، إن عليه لطلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا، إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لَأن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر، يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته"[6].

---

[1] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 75

[2] سورة الشعراء، الآية 214

[3] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 554، 555؛ العاقولي، المصدر السابق، ص 47- 49

[4] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 553، 555؛ العاقولي، المصدر السابق، ص 48، 49؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 76

[5] سورة الحجر، الآية 95

[6] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 78، 79

تجدر الإشارة إلى ما ورد عند العاقولي، أن أول من أظهر الإسلام وجهر به، الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الصديق، وعمار بن ياسر وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. أما الطبري أفاد بأن عبد الله بن مسعود هو أول من أجهر بقراءة القرآن بعد النبي عليه الصلاة والسلام[1]. والجدير بالذكر أن تحت وطأة السياسة الوحشية، التي انتهجتها قريش ضد المسلمين من تنكيل وتعذيب واضطهاد، أذن الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه ممن رغب في الهجرة إلى الحبشة في شهر رجب سنة 5 بعد البعثة، وكانت هذه الهجرة الأولى على رأسها عثمان بن عفان وزوجته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أعقبتها الهجرة الثانية، وقد اختلف في ضبط وتحديد أعداد المهاجرين. قيل في الهجرة الأولى أن عددهم، كان حوالي 12 رجلا و4 نساء. أما في الهجرة الثانية بلغ 83 رجلا و18 أو 19 امرأة[2]. أما الطبري، فقد ذكر 11 رجلا و4 نساء في الهجرة الأولى في شهر رجب سنة 5 بعد البعثة، و82 رجلا في الهجرة الثانية[3]. في حين أفاد اليعقوبي، أن عددهم بلغ 12 رجلا في الهجرة الأولى، و70 رجلا في الهجرة الثانية[4].

واجهت قريش الدعوة الإسلامية بعدة طرق وحشية، نذكر منها:

. الاستهزاء والسخرية وتحقير رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام الناس، والقيام بالصفير والتصفيق والضحك، حين يجتمع الناس حول رسول الله، بهدف الإنقاص من قدره، وتفريق الناس من حوله. قال الله تعالى:{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ واعْرِضْ عَنِ المشْرِكِينَ إِنَّا كَفَينَاكَ المسْتَهزِئِينَ}[5].

. العمل على تضليل الناس، ومن ذلك أنهم نعتوه بالجنون، وقد ذكر الله تعالى ذلك، بقوله:{يَا أَيُها الَّذِي نُزِّلَ عَلَيهِ الذِكرُ إِنَّكَ لَمَجنُونٌ}[6]. وكذلك نعتوه بالسحر والكذب. قال الله تعالى:{وعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُم مُنْذِرٌ مِنهُم قَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَابٌ}[7].

. إثارة الشبهات حول القرآن الكريم، ، ومحاولات فض الناس من حول رسول الله، ، وأقدم على ذلك عدد من طغاة قريش، مثلما فعل النضر بن الحارث، الذي كان يعقد حلقة بجوار مجلس

---

[1] العاقولي، المصدر السابق، ص 54، 55؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 562

[2] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 89، 91؛ محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 14

[3] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 559، 560

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 29

[5] سورة الحجر، الآية 95

[6] سورة الحجر، الآية 6

[7] سورة ص، الآية 4

رسول الله، ويقول للناس أنا أحكي أفضل منه، فما يقول إلا أساطير الأولين، "فبماذا محمد أحسن حديثا مني". وكان النضر بن الحارث قد جال بلاد فارس والروم، ونقل عنهم أخبار الأمم. قال تعالى: {وقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُتْلَى عَلَيهِ بُكْرَةً وأَصِيلاَ}[1].

. لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن قريشا انتهجت أسلوب العنف والتعذيب والتنكيل بأصحاب رسول الله بالأخص الضعفاء منهم في بطحاء مكة تحت حرّ الشمس، فعلى سبيل المثال: عثمان بن عفان لفه عمه في حصير، حتى ضاقت نفسه، ومصعب بن عمير طردته أمه ، وكاد يهلك من الجوع، وعُذب صُهيب الرومي حتى أغمي عليه، وبلال بن رباح كان يضربه أمية ابن خلف الجحمي حتى يدميه، ثم يضع حول رقبته حبلا ويسلمه للصبيان، يجرونه في أحياء مكة، ويتركه جوعا بلا طعام، ولم يقف الأمر عند هذا الحال، بل كان يخرجه إلى بطحاء مكة في شدة الحر ويضع على صدره حجرا عظيما، حتى اشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه، وفعل نفس الشيء مع عامر بن فهيرة، كما أن عمار بن ياسر عُذب، وطعن أبو جهل أمه سمية فقتلها، هذا بالإضافة إلى آخرين ، أمثال: أفلح أبو فكيهة؛ خباب بن الأرث. والإماء كالمهدية وابنتها، وزنيرة، وأم عبيس، اللاَّئي اشتراهن أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقهن[2].

. فشل قريش دفعها إلى توجيه العديد من الوفود إلى أبي طالب، لثني رسول الله غما هو عليه من الدعوة إلى توحيد الله؛ فلما لم يجدوا ما يرجونه، اجتمع وفد ضم عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبو البَختري بن هشام، والأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، والعاس ين وائل، وأبو جهل عمرو بن هشام، وابني الحجاج. اتجه الوفد إلى أبي طالب، وتوعدوه وهددوه، أن يكف ابن أخيه عما هو عليه أو يسلمه إليهم ليقتلوه، فراجع أبو طالب الرسول صلى الله عليه وسلم. فرد عليه قائلا:(يا عم لو وضعت الشمس في يميني ، والقمر في يساري ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه). فقال له عمه:"امضي على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا نسلمك بشيء أبدا". كما أنهم في وفد من الوفود اقترحوا عليه أن يعطوه عمارة بن الوليد يتخذه ابنا ويسلمهم محمد عليه الصلاة والسلام، وكان عمارة بن الوليد أجمل شباب العرب والأكثر أناقة بينهم[3].

---

[1] سورة الفرقان، الآية 5

[2] العاقولي، المصدر السابق، ص 54؛ ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 196، 226؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 50، 51؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 401، 403؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 79- 82

[3] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 196؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 556- 558

. عرض على رسول الله كل من الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف، أن يعبدوا ما يعبد، ويعبد ما يعبدون[1]. قال الله تعالى:{قُلْ يا أيُّهَا الكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعبُدُ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبِدْتُم وَلاَ أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُم وَلِيَ دِينِ}[2].

. الهمز واللمز، وهذا عندما مر رسول الله ثلاث مرات على أشراف قريش همزوه. فقال لهم:(أما الذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح). كما حرضوا عليه جماعة، أحاطوا به وأرادوا ضربه أو قتله، لولا تدخل أبو بكر الصديق وحماه[3].

. مقاطعة قريش لبني هاشم، وحصارهم في شعاب مكة ما يقارب 3 سنوات، ابتداءً من السنة 7 بعد البعثة، خلال هذه الفترة منعوا عنهم الطعام، وكاد يقتلهم الجوع، وكان أشراف ورؤساء قريش تعاهدوا على هذا الحصار في صحيفة كتبها عكرمة بن هاشم، وعلقوها داخل الكعبة. وقد أنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم عمه أن الأرضة أكلت الصحيفة، ولم يبق منها إلا اسم الله، فذهب أبو طالب إلى رؤساء قريش وهم بجوار الكعبة، وأخبرهم بمصير الصحيفة، فكذبوه ورفضوا فتح باب الكعبة والاطلاع عليها. وكان عمرو بن هشام قد سعى إلى مساعدة بني هاشم وتمزيق الصحيفة، فتمكن من إقناع كل من أبي البَحتري، والمطعم بن عدي، وزهير بن أبي أمية، وزمعة. واجتمعوا عند الكعبة، وطالبوا بتمزيق الصحيفة، فكانوا دعما لأبي طالب، واضطر رؤساء قريش إلى فتح باب الكعبة، ، وتفاجأ الجميع أن الأرضة لم تترك فيها إلا اسم الله، وكان ذلك آية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[4].

نعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان يبحث عن حاضنة اجتماعية، تحتضن الدعوة وتذود عنها، ومنها تنطلق إلى جميع أرجاء الجزيرة العربية. فكان أول سعيه في المجتمع المكي، الذي تربطه به صلة الرحم، وهم قومه وفيهم عشيرته، إلا أنهم كانوا أول المكذبين، وناصبوه العداء وألحقوا العذاب والتنكيل بأصحابه، ولم يؤمنوا حتى حين طلبوا منه أن يأتيهم بآية أو معجزة، فأنبأهم

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 564

[2] سورة الكافرون، الآية 1- 6

[3] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 561

[4] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 198، 201، 202، 203، 204، 206، 207، 211؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 16- 21

بانشقاق القمر، ورغم ذهول قريش حين انشق القمر أمام أعينهم، وتجلت لهم آية النبوة جلية بوضوح، إلا أنهم أصروا على تكذيبه، وأظهروا له العداء[1].

فلما أيقن رفض قريش التوحيد، وإصرارهم على الكفر والعداء، سافر برفقة زيد بن حارثة إلى الطائف، بحثا عن من يحتضن الدعوة الإسلامية، فلم يجد استجابة في مجتمع الطائف، بل إنهم حرضوا عليه السفهاء والصبيان، رموه بالحجارة وشتموه حتى أدميت قدميه الشريفتين، وشج رأس زيد بن حارثة خلال حمايته لرسول الله، وقد لجأ إلى بستان عتبة وشيبة ابني ربيعة؛ فلما رأوه على تلك الحالة جاشت في نفسهما العصبية، فأرسلا بخادم لهما نصرانيا اسمه عَداس بعنب، وقد دار حديث بين رسول الله وعداس، فأيقن أنه نبي وصرح بذلك لابني ربيعة، فنصحوه التمسك بدينه وأن لا يتبع محمدا عليه الصلاة والسلام، ومن شدة وطأة ما وقع عليه، دعا الدعاء المشهور، وفي طريق عودته إلى مكة، أتاه جبريل عليه السلام ومَلكُ الجبال، واستأذنه أن يطبق الجبال على مكة ومن فيها، فرفض ذلك أملا منه، ورغبة ورحمة أن يخرج منهم ومن ذريتهم من يسلم وجهه لله ولا يشرك به أحدا، ثم أقبل يعرض نفسه على القبائل[2].

تجدر الإشارة إلى أن قبل هذه الأحداث، كان إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في شهر ذي الحجة سنة 6 بعد البعثة. أما قريش حين لم تجد حجة تفند بها ما جاء به رسول الله، استعانوا بيهود يثرب، واتصل بهم النضر بن الحارث، فقالوا له امتحنوه في ثلاثة:"سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإن لهم حديثا عجيبا. وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟"[3]. وطرح قريش هذه الأسئلة على رسول الله، فنزلت سورة الكهف، وبينت لهم خبر الفتية، وهم أصحاب الكهف، والرجل الطواف وهو ذو القرنين، ونزلت سورة الإسراء تتضمن الجواب على مسألة الروح. فبهت الكفار وذهلوا، ورغم ذلك لم يؤمنوا، وفي شهر رجب سنة 10 بعد البعثة توفي أبو طالب، وفي

---

[1] العاقولي، المصدر السابق، ص 53

[2] نفسه، ص 56؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 36؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 568، 569؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 403؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 121- 127؛ محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 18، 19

[3] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 220؛ العاقولي، المصدر السابق، ص 50، 51؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 401، 562؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 104

رمضان من نفس السنة توفيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وقد قيل إنما توفي أبو طالب في شهر رمضان قبل وفاتها بثلاثة أيام[1].

الجدير بالاهتمام، ذكر الاختلاف الذي وقع حول ضبط وتحديد تاريخ الإسراء والمعراج، حيث نجد الطبري ذكر أن الإسراء وقع في سنة نزول الوحي[2]. وفي السياق ذاته، كرر ابن خلدون ما ذكره الطبري، ويبدو أنه يعتقد أيضا أن الإسراء وقع عام البعثة، لقوله أنه كان أول الوحي[3]. أما اليعقوبي، نكتشف من خلال روايته أنه يعتقد وقوع الإسراء في الفترة الممتدة من الجهر بالدعوة إلى ما قبل حصار قريش لبني هاشم في شعاب مكة[4].

كما أن ابن الجوزي أفاد بوقوع الإسراء في سنة 12 بعد البعثة، ويرى أن الاختلاف وقع حول الشهر، فذكر أن الإسراء وقع في أحد الأشهر الثلاثة، ربيع الأول والثاني؛ رجب؛ رمضان[5]. أما العاقولي ذكر وقوع الإسراء قبل الهجرة إلى المدينة[6]. وفي هذا السياق، اكتفى كلا من ابن إسحاق وابن هشام، بذكر ما جرى في الإسراء والمعراج دون أن يأتيا على ذكر تاريخ وقوعه[7]. وقد ذكرت روايات أخرى تواريخ مختلفة ، نذكر منها: السنة 5 بعد البعثة؛ 27 رجب سنة 10 بعد البعثة؛ شهر محرم سنة 13 بعد البعثة؛ شهر ربيع الأول سنة 13 بعد البعثة[8]. الجدير بالاهتمام، أن محمدا عليه الصلاة والسلام لقي من الأنبياء، حين عُرِجَ به إلى السموات كل من آدم عليه السلام في السماء الدنيا، ثم يحي بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام في السماء الثانية، ثم يوسف عليه السلام في السماء الثالثة، ثم إدريس عليه السلام في السماء الرابعة، ثم هارون بن عمران عليه السلام في السماء الخامسة، ثم موسى بن عمران عليه السلام في السماء السادسة، ثم

---

[1] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 266، 271؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 35؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 105

[2] الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 546، 547

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 43، 44

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 26

[5] ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 153

[6] العاقولي، المصدر السابق، ص 59، 60

[7] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 309، 310؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 37- 44

[8] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 132

إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة[1]. والأمر المثير للاهتمام، أنه رأى جنة المأوى، وسدرة المنتهى، وفرضت الصلوات الخمس في تلك الليلة[2].

فيما يخص هجرة المسلمين إلى يثرب، لما تعب الرسول صلى الله عليه وسلم من إيجاد قبائل تحتضن الدعوة الإسلامية، ساق الله إليه أهل يثرب. فكانت بيعة العقبة الأولى في موسم الحج من سنة 12 بعد البعثة، وكان 6 نفر من يثرب قد أسلموا، وبايعوا رسول الله في موسم الحج من سنة 11 بعد البعثة، وفي موسم الحج من سنة 12 بعد البعثة، اجتمع به 12 رجلا من الخزرج والأوس وبايعوه، فبعث معهم مصعب بن عمير العبدري، ليفقههم في الدين، وينشر الإسلام، ويعد مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام. وفي موسم الحج من سنة 13 بعد البعثة اجتمع به 73 رجلا وامرأتان، هما: نسيبة بنت كعب أم عمارة، وأسماء بنت عمرو بن عدي، فكانت بيعة العقبة الثانية، واختار منهم 12 نقيبا، وبايعه الحاضرون وعاهدوه، فكانت هذه المعاهدة الحجر الأساس في قيام دولة الإسلام بالمدينة المنورة[3]. وقد نصت البيعة على ما يلي:

. السمع والطاعة

. نصرة وحماية رسول الله وأصحابه

. الإنفاق في العسر واليسر

. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

. أن لا تأخذهم لومة لائم في الحق[4].

فلما بايع الأوس والخزرج، وعاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم على احتضان الدعوة الإسلامية وحمايته هو وأصحابه، ووفقا للإرادة الإلهية أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى يثرب، فهاجروا فرادا وجماعات في سنة 14 بعد البعثة، وهي السنة الأولى هجرية، ولم يبق إلا الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقيل أيضا صُهيب بن سنان الرومي هاجر بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 132، 133

[2] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 43، 44

[3] ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 86- 90؛ الطبري، المصدر السابق، ج1، ص 573- 577؛؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 173، 174؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 405، 406؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 37، 38

[4] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 142، 143

والجدير بالذكر اجتماع رؤساء قريش في دار الندوة، واتفقوا على قتل رسول الله، واختاروا من كل قبيلة فتى، ليهدروا دمه الشريف بين القبائل؛ فلما أنبأ الله تعالى نبيه بالمؤامرة، جعل عليا رضي الله عنه ينام في فراشه، وخرج وهم أمام الدار، وقد نفث التراب على رؤوسهم، وجعل الله حجابا على أبصارهم وأغشاهم[1]، كما جاء في سورة يس[2].

الأمر المثير للاهتمام إقدام الرسول صلى الله عليه وسلم على وضع خطة محكمة للإفلات من قريش، والوصول بأمان إلى يثرب، واستندت هذه الخطة على على الاختيار الموفق للدليل، حين استعان بعبد الله بن أريقط، أكثر الأدلاء خبرة ودراية بطرق ومسالك المنطقة، بالإضافة إلى أمانته ووفائه، ثم لجأ إلى استعمال الحيلة والمراوغة، فاختار طريقا طويلا وشاقا يتجه إلى غار ثور، ثم ينعطف إلى يثرب عبر الساحل، مخالفا بذلك الطريق المعتاد لدى العرب، ليضلل فرسان قريش، ولم تكتمل الخطة إلا بتكليف عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام لا تشك فيه قريش لصغر سنه، برصد أخبار وتحركات قريش. أما أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، فكلفت بدعمهما بالطعام والماء، وفي السياق ذاته كلف عامر بن فهيرة مولى أبي بكر بطمس آثار أسماء وأخيها عبد الله، حين يتنقلون بين مكة وغار ثور للقاء رسول الله وأبي بكر رضي الله عنه[3].

فلما لم تعثر قريش عليهما، أعلنت جائزة بقيمة 100 من الإبل لمن يجدهما، وبالفعل وصلت إحدى فرق فرسان قريش برفقة قائف، استطاع كشف الأثر وتتبعه إلى غاية غار ثور، ولكن لم يتفطن هؤلاء على أنهما في الغار، بسبب عنكبوت نسجت فم الغار، وحمامة وضعت عشها؛ فلما قضى الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه ثلاثة أيام في الغار، جاءه عبد الله بن أريقط على حسب الاتفاق، وفي الطريق اعترضهم سُراقة بن مالك ووقعت لفرسه الحادثة المعروفة، ورجع فزعا خائفا إلى قريش فلم يصدقوه. أما الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه واصلا سيرهما مع الدليل إلى يثرب، ووصلا في شهر ربيع الأول، واختلف في اليوم الذي

---

[1] العاقولي، المصدر السابق، ص 60؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 408، 409؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 154؛ محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 27؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 148، 149

[2] سورة يس، الآية 9

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 409؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 154

دخلوا فيه، وبات رسول الله عند بني النجار، ثم بقي أياما بقُباء، ثم أقام عند أبي أيوب الأنصاري[1].

2.2 . الدعوة بعد الهجرة وبناء الدولة الإسلامية:

تعد المؤاخاة أهم حدث وقع بعد الهجرة وبناء المسجد النبوي، بحيث آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، وأظهر الأنصار صحة إسلامهم وإخلاصهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وله سلموا أمرهم، وأقدموا على أمر لم يحدث من قبل مثله في تاريخ البشرية، حين اقتسموا كل ما يملكون مع المهاجرين من مال ودور وبساتين، وسوى ذلك، حتى من النساء والميراث، لولا نزول الوحي بحرمة التوارث إلا في صلة رحم ونسب[2]. نعتقد أن المؤاخاة عقد اجتماعي قائم على سياسة حكيمة وخطوة ذكية، وتهدف إلى توثيق روابط المجتمع الإسلامي الفتي، وتوحيد الجبهة الداخلية لتثبيت قواعد الدولة الإسلامية الناشئة.

في سياق نشأة دولة المدينة، ودرء خطر غدر اليهود القاطنين بها، عقد رسول الله معهم عهدا وميثاقا، نص على ما يلي:

. حرية المسلمين واليهود في ممارسة شعائرهم الدينية

. إن على اليهود نفقتهم، وعلي المسلمين نفقتهم

. ينصرون بعضهم ضد عدوهم

. الإقرار على النصح والنصبحة بينهم، والبر دون الإثم

. نصرة المظلوم

. تقديم النفقة والدعم للمسلمين ضد عدوهم

. يمنع بجوار قريش ومن نصرها

. جوف يثرب حرام لأهل هذه الوثيقة

. إذا وقع نزاع بين المسلمين واليهود، يرجع الحكم فيه إلى الله ورسوله

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 40، 41؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 154؛ محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 28

[2] ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 150؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 155؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 411؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 176، 177

. حماية يثرب والدفاع عنها ضد أي عدو يهددها، كل واحد من جهته وحصنه[1].

الجدير بالذكر، أن أول شيء أقدم عليه رسول الله بعد نزوله بالمدينة، بناء المسجد النبوي الشريف، الذي شكل مقرا يتشاور فيه رسول الله والصحابة حول شؤون المدينة وتنظيم إدارتها، والوقوف على أحوالها في كافة المجالات، ولم يكن مكان عبادة فقط، بل مركزا تتخذ فيه جميع القرارات[2]. وقد أذن الله عز وجل بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، وهذا بعد مرور 17 شهرا من دخول رسول الله المدينة المنورة[3].

الأمر المثير للاهتمام، إبقاء الرسول صلى الله عليه وسلم على التنظيمات الإدارية، التي كانت موجودة، وهي تنظيمات إدارية بسيطة، ففي البداية كانت الدولة تقتصر على المدينة، ثم توسعت لتشمل جميع أرجاء جزيرة العرب. والجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعط أهمية كبرى للتنظيم الإداري، كونه انشغل بالدفاع عن المدينة ونشر الإسلام، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية؛ ولابد من الإشارة إلى أن بساطة التنظيم الإداري سببه يعود إلى أن بلاد العرب، لم تكن موحدة وخاضعة لسلطان دولة مركزية قوية، بل كانت مدنا وقبائل مستقلة عن بعضها البعض، لا تخضع لسلطة سياسية أو إدارية، بسبب النزعة القبلية الاستقلالية[4].

ليس بالإمكان التطرق إلى التنظيم الإداري، ما لم نقف على هياكل الدولة ومؤسساتها ووظائفها السامية، لكن في الواقع أن كل من تولى مهمة من المهام، تولاها بدون مقابل أو أجر، لأنه يراها من ضمن مسؤولياته تجاه الله ورسوله، وتدفعه في ذلك العقيدة والروابط الأخوية. وتجدر الإشارة إلى أن رسول الله خصَّ أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وقربهما دون سائر الصحابة، وفي رواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى أنه إذا كان غائبا، فقد استخلف

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 410؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 182، 183؛ عماد عبد السميع، الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سِفْر اللاَّويين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص 577

[2] للاطلاع أكثر على المسجد النبوي. ينظر: العاقولي، المصدر السابق، ص 138؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 41؛ ابن خلدون عبد الرحمن، م2، ص 410؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 175، 176؛ محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 28

[3] ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 311؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 42؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 414

[4] صالح أحمد العلي، الحجاز في صدر الإسلام، دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990، ص 169، 170

أبا بكر الصديق للنظر في شؤون المسلمين[1]. بناءً على الكثير من الروايات، نكتشف أن رسول الله اتخذ من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وزيرين له، كان يستشيرهما في الكثير من أمور الدولة والمسلمين، وإن كان مصطلح الوزارة غير موجود في هذه الفترة، كما كان حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله وكاتم أسراره. أما فيما يخص الحجابة أو الآذان، فإن هذه المهمة تتمثل في حفظ باب رسول الله، واستئذانه في إدخال الناس عليه، وقد تولى هذه المهمة عدد من المسلمين، أغلبهم من الموالي، نذكر منهم: أنس بن مالك؛ رباح بن الأسود؛ أنسه؛ أسد[2]. نعتقد أنه لم تكن هناك وظيفة الحجاب، وإنما كان هناك تطوعا، ولم يأمر بها رسول الله، لهاذا أردنا أن نطلق عليه مهمة وليست وظيفة.

نكتشف من خلال الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يتخذ حاجبا ولا بوابا، بل إن الحجاب المذكورين تطوعوا من أنفسهم، ولم ينكر عليهم رسول الله ذلك، ما دام لم يقع منهم تعدي وظلم على المسلمين، ومنع من كانت لهم مظالم أو حاجة، ولم يسمح الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون له حجابا، إلا حين يكون في خلوة[3]. ويعد الرسول صلى الله عيه وسلم أول من تولى الحسبة في الإسلام، وحين فتحت مكة تولى سعيد بن سعيد بن العاص الحسبة على السوق[4].

الجدير بالذكر، أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتخذ شرطا، وكان عدد من الصحابة يتولى العسس على المدينة وبيت رسول الله تطوعا. والأمر المثير للاهتمام، أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ كُتَّاباً، أسند إليهم مهاما معينة، ومن ذلك نذكر: تولي علي بن أبي طالب وعثمان ابن عفان رضي الله عنهما كتابة الوحي، وفي حال غيابهما يتولى كتابة الوحي كلا من زيد بن ثابت وابن أبي كعب رضي الله عنهما. أما فيما يتعلق بكتابة حوائج الرسول صلى الله عليه وسلم، عيَّن كلا من معاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص، في حين تولى كتابة حوائج الناس كلا

---

[1] السيوطي جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الرفاعي ومحمد العثماني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دون تاريخ، ص 43، 51

[2] الكتاني محمد عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج1، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دون تاريخ، ص 88، 90؛ محمود مصطفى الحلاوي، النظم الإسلامية في صدر الإسلام، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دون تاريخ، ص 86، 87

[3] الكتاني، المرجع والجزء السابقان، ص 91، 92

[4] موسى عبد اللاوي، الحضارة الإسلامية وآثارها على المدينة الغربية، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2008، ص 86، 87

من عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة. وقد ولى الرسول صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن الأرقم كتابة الرسائل إلى الملوك والحكام والولاة[1].. أما بالنسبة للقضاء، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر في المظالم ببيته أو بالمسجد دون أن يتخذ سجلا للقضاء[2].

كان الحارث بن عوف القائم على الخاتم، وذكرت بعض الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم عيَّن أيضا الربيع بن صيفي قائما على الخاتم. والجدير بالاهتمام، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان يتقن الكثير من اللغات كالعبرية، والرومية، والفارسية، والقبطية، والحبشية، ولهذا اتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم ترجمانا له، كما اتخذ السفراء والولاة. أما فيما يخص العطاء فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يضبط أسماء سكان المدينة في سجل، ويقسم العطاء في المسجد، فيقسمه على الناس بالتساوي[3]. لابد من التذكير بأن بناء الدولة يعد من أولويات انشغالات رسول الله، التي أسسها على قواعد وأسس تتجاوز القبيلة والعرف واللون، ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام يحكم الدولة ويتخذ قرارات أحادية، بل كان لديه ما يشبه المجلس الاستشاري يضم كبار الصحابة، فلا يتخذ قرارا إلا بعد استشارة أصحابه، لهذا كان نظام الحكم في نظره وسيلة لتحقيق مقاصد معينة، تتمثل في حفظ الدين وتسيير شؤون المسلمين[4]. والجدير بالذكر، أن رسول الله اكتفى بإرسال الجباة والولاة والمعلمين، وأبقى على التنظيمات الإدارية المحلية، كما كانت عليه قبل ظهور الإسلام[5].

فيما يتعلق بالولاة، كانت اليمن تحت إمارة بادان، الذي كان واليا عليها من قبل كسرى الفرس، ولما اعتنق الإسلام أبقاه الرسول صلى الله عليه وسلم واليا عليها، كما جرت عادته عليه السلام مع الأمراء والرؤساء الذين أسلموا؛ فلما توفي بادان أقدم رسول الله على إعادة تنظيم اليمن إداريا، وقسمها إلى عمالات، فعيّن شمر بن بادان على صنعاء، وأبا موسى الأشعري على مأرب، وعامر بن شمر الهمداني على همدان، والطاهر بن أبي هالة على عَكَّ والأشعريين، وخالد بن سعيد

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج2، ص 581؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 80، 81

[2] محمود مصطفى حلاوي، المرجع السابق، ص 82، 83

[3] زريق مرزوق، نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص 21، 27

[4] عماد علي عبد السميع، المرجع السابق، ص 575، 576

[5] صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 281

ابن العاص على ما بين نجران وزمع وزُبيد، وعمرو بن حرام على نجران، وزيد بن لبيد البياضي على حضرموت، وعكاشة بن ثور على السكاسك والسكون[1].

فيما يخص الغزوات، فإن رسول الله خاض قبل غزوة بدر الكبرى عدة غزوات، نذكر منها: غزوة الأبواء، خرج فيها الرسول صلى اله عليه وسلم برفقة مائتين من أصحابه في شهر صفر من السنة الأولى هجرية، وأبرم صلحا مع بني ضمرة. أما غزوة بواط، فخرج رسول الله وأصحابه للإغارة على عير لقريش في شهر ربيع الثاني من نفس السنة فلم يلقهم. ثم غزوة العشيرة في شهر جمادى الأولى من نفس السنة، خرج رسول الله لقتال قريش، ولم يقع قتال فعاد إلى المدينة. ثم غزوة بدر الأولى في جمادى الثانية، وسبب ذلك، إغارة كرز بن جابر على المدينة، فلحقه رسول الله حتى وصل بدرا ولم يدركه[2]. تجدر الإشارة إلى السرايا، التي لم يخرج على رأسها رسول الله، ونذكر منها: سرية حمزة بن عبد المطلب؛ سرية عبيدة بن الحارث؛ سرية سعد بن أبي وقاص؛ سرية عبد الله بن جحش[3].

تعد غزوة بدر الكبرى أم الغزوات، وقعت في 17 رمضان من السنة الثانية هجرية، وقد بلغ جيش المسلمين حوالي 300 رجل، في حين بلغ جيش المشركين حوالي ألف رجل بعد انسحاب300 رجل من بني زهرة، وقد أخذ رسول الله بخطة حُباب ين المنذر، وقام بتغوير ماء بدر، واعتمد أسلوب الدفاع ثم الهجوم، وعلى إثر ذلك انتصر المسلمون؛ والمثير للاهتمام أن عدد قتلى المسلمين أقل بكثير من قتلى المشركين، بحيث استشهد 14 رجلا في مقابل قتل 70 رجلا وأسر 70 آخرين من المشركين. تجدر الإشارة إلى أن النبي عليه السلام أمر بعدم قتل أبي البَحتري، وعتبة بن ربيعة، إلا أنهما قتلا قبل بلوغ أوامر رسول الله، وحين جمع الأسرى أمر بقتل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط[4].

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 462

[2] ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص 246، 248

[3] نفسه، ص 245، 251، 252، 253؛ إبراهيم شمس الدين، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 137

[4] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 174؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 414- 417؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 45، 46؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 193- 220؛ محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 32

كان بنو قينقاع من أشد وأشجع يهود المدينة، ويملكون حيا يمارسون فيه صناعة الأسلحة والتجارة؛ فغزاهم رسول الله وفرض عليهم الحصار، فيما يعرف بغزوة بني قينقاع، وسبب ذلك يعود إلى تطاولهم على رسول الله والمسلمين، وكشف عورة إحدى نساء المسلمين. وقد دام الحصار حوالي 15 يوما وانتهى باستسلامهم، وحكم عليهم رسول الله بالنفي، فتوجهوا إلى الشام، وكان ذلك في شهر شوال السنة 2 هجرية. ولابد من الإشارة إلى أن غزوة الكدر وقعت في شهر شوال من السنة 2 هجرية، وغزوة السويق في شهر ذي الحجة من نفس السنة، وغزوة ذي أمر في شهر محرم السنة 3 هجرية، وكذلك قتل كعب بن الأشرف، الذي نضم شعرا هجا فيه المسلمون، وقد قتل بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم على يد جماعة من المسلمين تطوعوا لذلك، فيهم محمد ابن مسلمة في شهر ربيع الأول من السنة 3 هجرية، كما وقعت غزوة نجران في شهر ربيع الثاني، وكذلك خرجت سرية زيد بن حارثة في نفس السنة[1].

تعتبر غزوة أحد من أشهر الغزوات، التي كانت درسا وعبرة للمسلمين، وقعت يوم الاثنين 7 شوال من السنة 3 هجرية، وسبب ذلك استعداد قريش والتعبئة لغزو المدينة، وصل الخبر إلى رسول الله من عمه العباس، الذي كان عينا له على المشركين بمكة. تجدر الإشارة إلى أن عدد المسلمين كان ألف رجل، ثم انسحب ثلاثمائة من المنافقين، فصار المسلمون في 700 رجل، أما جيش المشركين بلغ 3 آلاف. وقد وضع رسول الله خطة حسب طبيعة جغرافية أرض المعركة، وكثرة عدد جند المشركين، فوضع على جبل أحد 50 من أمهر الرماة، وعين عليهم عبد الله بن جبير، وأمرهم بحماية ظهر المسلمين وعورتهم، وأن لا يتركوا موقعهم مهما كانت الظروف، إلا أن هؤلاء عصوا أوامر رسول الله، ونزلوا طمعا في الغنائم بعد تقدم المسلمين في المعركة، ولم يبق منهم إلا 9 رماة؛ فاستغل هذه الثغرة خالد بن الوليد وهجم على المسلمين من الخلف، ووجد المسلمون أنفسهم محاصرين بين المشركين، وانقلب النصر إلى هزيمة، واحتمى رسول الله والصحابة بالجبل. وسقط في هذه الغزوة 70 شهيدا من المسلمين، ومن المشركين 22 قتيلا[2].

وقد وقع بعد غزوة أحد في السنة 3 هجرية، غزوة حمراء الأسد في شهر شوال، وغزوة الرجيع في شهر صفر قتل فيها 6 من الصحابة غدرا. أما غزوة بئر معونة في شهر صفر السنة 4

---

[1] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 319- 324؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 418، 419؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 222، 232؛ إبراهيم شمس الدين، المرجع السابق، ص 153- 155

[2] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 330- 346؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 47، 48؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 421- 424؛ إبراهيم شمس الدين، المرجع السابق، ص 156- 166

هجرية، سقط فيها من الصحابة حوالي 70 شهيدا، وسبب ذلك إقدام عامر بن الطفيل على تحريض يني سليم لقتلهم بعد رفض بني عامر الاستجابة لطلبه. وفي شهر ربيع الأول من السنة 4 هجرية، وقعت غزوة بني النضير، والسبب في ذلك، إقدام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على طلب مساعدة من يهود بني النضير وفق المعاهدة المبرمة بينهما، لدفع دية قتلى؛ فاتفق رؤساء بني النضير على اغتيال رسول الله، وأرادوا إلقاء عليه صخرة، لكن الله تعالى أوحى إليه بذلك، فأسرع راجعا إلى المدينة، وأمر الصحابة بالاستعداد للحرب، وفرض عليهم حصارا دام ما يقارب 6 أيام انتهى باستسلامهم؛ فلما تدخل عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين، واحتج بأنهم حلفاء الخزرج، حكم عليهم رسول الله بالنفي خارج المدينة، وأن لا يأخذوا معهم فوق حمولة إبل من سلاح ومال[1].

وفي شهر جمادى الأولى من السنة 4 هجرية وقعت غزوة ذات الرقاع، وسميت بذلك لأن الجبل الذي غزاه المسلمون، كان رقاعا بالأبيض والأسود والأحمر. وفي شهر ربيع الأول من السنة 5 هجرية، غزا المسلمون دومة الجندل. وفي شهر شوال من السنة 5 هجرية، وقعت غزوة الخندق، التي تعتبر نقطة التحول في الصراع بين المسلمين والمشركين، الذين أدركوا عدم قدرتهم القضاء على المسلمين، وسبب غزوة الخندق أو الأحزاب، يعود إلى اتفاق رؤساء اليهود على الانتقام لما وقع لهم في غزوة بني النضير، فاجتمع حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق. واتفقوا على توحيد قبائل العرب وتحريضهم على غزو المدينة والقضاء نهائيا على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ووعدوهم بالدعم[2].

الأمر المثير للاهتمام، أن الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمد استراتيجية محكمة تقوم على ثلاثة خطط. الخطة الأولى، اقترحها سلمان الفارسي تنص على حفر خندق حول المدينة لحمايتها من المهاجمين. أما الخطة الثانية، وضعها رسول الله تقوم على خلق انقسامات داخل معسكر المشركين، بحيث عرض الرسول صلى الله عليه وسلم ثلث ثمار المدينة أو أكثر على غطفان مقابل انسحابها. أما الخطة الثالثة، وضعها نعيم بن مسعود ، وكان يكتم إسلامه، لهذا وضع خطة تقوم

---

[1] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 348، 377، 378، 381، 382، 383؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 49؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 425، 426

[2] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 387، 391، 392، 393، 394؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 466، 467؛ إبراهيم شمس الدين، المرجع السابق، ص 172، 173؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 283- 288

على خلق الفتنة والخلاف بين قريش وغطفان وبين يهود بني قريظة، ونفذها بنفسه لأنه كانت تجمعه صداقة مع اليهود وكذلك كان ثقة عند قومه غطفان وقريش، وهذا بعد أن ثبت خيانة بني قريظة ونقضها العهد بتقديم الدعم لقريش وحلفائها، ومحاولة كشف عورة المدينة من جهتهم. فكان نجاح الاستراتيجية العسكرية التي وضعها المسلمون، والعناية الإلهية حين سلط الله الريح على المشركين، فانسحب هؤلاء بخيبة أمل، وهزيمة نكراء وضعت حدا لطموحات المشركين في القضاء على المسلمين[1].

فلما انسحبت قريش وحلفاؤها، توجه جيش المدينة إلى فرض الحصار على بني قريظة، الذي دام حوالي 25 يوما؛ فلما طال عليهم الحصار استسلموا على شرط أن يحكم عليهم سعد ابن معاذ رضي الله عنه، لأنه كان حليفهم في الجاهلية، وهذا طمعا أن يحكم بنجاتهم، إلا أن سعدا حكم على الرجال بالقتل، والنساء والذراري بالسبي، وكان فيمن قتل سيدهم كعب بن أسد، وحيي بن أخطب سيد بني النضير[2]. وفي شهر ذي القعدة وقيل ذي الحجة من السنة 5 هجرية، استأذن الخزرج رسول الله في قتل سلام بن أبي الحقيق فأذن لهم. بناءً على ذلك، توجهت سرية من 5 نفر على رأسهم عبد الله بن عتيك، وتمكنوا من التسلل وقتله. وفي شهر محرم من السنة 6 هجرية أقدمت سرية يقودها محمد بن مسلمة بغزو بني بكر بن كلاب، ففر هؤلاء وغنم المسلمون مواشيهم، وفي شهر ربيع الأول وقيل جمادى الأولى سار الرسول صلى الله عليه وسلم غازيا بني لحيان، وعرفت بغزوة بني لحيان، وقد فر هؤلاء وتحصنوا بالجبال، وفي شهر رمضان من نفس السنة وقعت غزوة المصطلق[3].

يعد صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من السنة 6 هجرية، أهم ما وقع في تاريخ السيرة النبوية، الذي أحدث فارقا في مسار الدعوة الإسلامية، وذلك عندما خرج الرسول صلى اله عليه وسلم وزوجته أم سلمة وأصحابه، لا يحملون معهم إلا سلاح المسافر، وكان عددهم ألف وخمسمائة لأداء العمرة، ونزلوا بالحديبية؛ فلما بلغ الخبر إلى قريش بعثت الرسل، ومن ذلك قدوم

---

[1] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 393- 424؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 467- 469؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 50، 51

[2] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 425- 429؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 52؛ ابن خلدون عبد الرحمن، م2، ص 429، 430؛ إبراهيم شمس الدين، المرجع السابق، ص 177

[3] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 430، 434، 436، 439؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 431؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 404- 406؛ إبراهيم شمس الدين، المرجع السابق، ص 179- 181

عروة بن مسعود الثقفي على رسول اله، وبعد حوار واستقصاء لأحوال المسلمين عاد إلى قريش، ونصحهم بقبول عرض رسول الله، ووصف لهم حال المسلمين، ومن ذلك قوله أنه وفد على الملوك فلم ير ملكا يعظمونه أصحابه كمحمد[1].

وقد بعث رسول الله عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش، ولما طال غيابه أشيع أنه قتل، هذا الخبر أثار غضب رسول الله، فاجتمع مع أصحابه تحت الشجرة، وبايعوه بيعة الرضوان، ثم تبيَّن عدم مقتله؛ فلما وافقت قريش على المفاوضات حاول حوالي 80 من فرسانهم الإغارة ليلا على المسلمين، إلا أن فرقة الحراسة بقيادة محمد بن مسلمة أسرتهم، ولإظهار حسن النية عفا عنهم رسول الله، فبعثت قريش سهيل بن عمرو الذي أبرم اتفاقا مع رسول الله، عُرف بصلح الحديبية، نص على:

. هدنة بين الطرفين لمدة 10 سنوات يأمن الناس فيها، ويرجع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ويأتون العام المقبل لأداء العمرة، ولا يحملون معهم إلا سلاح الراكب، ولا يتجاوزون 3 أيام

. حرية كل من يريد الدخول في عهد رسول الله، ومن يريد الدخول في عهد قريش

. كل من فرّ إلى رسول الله دون إذن وليه يرده إليهم، ومن فرّ إلى قريش، لا يردونه إلى رسول الله[2].

تجدر الإشارة إلى أن صلح الحديبية، يُبرز حكمة رسول الله وعبقريته، فقد فتح الباب على مراعيه لحرية تنقل الدعاة، ونشر الإسلام بين القبائل. وقد توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بعث الرسل والسفراء إلى ملوك العرب والعجم يدعوهم إلى الإسلام، ويُبرز حضور دولة الإسلام في جزيرة العرب، وقد اتضحت سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في تطهير بلاد الحجاز من خطر اليهود، وذلك حين غزا حصون وقلاع يهود خيبر في شهر محرم من السنة 7 هجرية، وفرض عليهم الحصار، وتمكن من فتح حصون خيبر الواحد تلوى الآخر رغم حصانتها وشدة المقاومة

[1] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 454، 455؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 54؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 432؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 321- 324؛ محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 38، 39

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 54، 55؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 432، 433

والقتال[1]، ثم فتح المسلمون فدك ووادي القرى. وفي شهر شوال من السنة 7 هجرية، خرج الرسول صلى الله عليه وسلم لأداء العمرة حسب صلح الحديبية[2].

وفي شهر جمادى الأولى من السنة 8 هجرية، جهز رسول الله جيشا لغزو بلاد الشام، وكان قد أسلم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، فانضم خالد بن الوليد إلى الجيش، حيث وقعت غزوة مؤتة بين المسلمين وعددهم 3 آلاف وبين جيش الروم والعرب وعددهم 200 ألف، وفي المعركة استشهد الأمراء الثلاثة: زيد بن حارثة؛ جعفر بن أبي طالب؛ عبد الله بن رواحة. واستطاع خالد بن الوليد إنقاذ جيش المسلمين[3]. وفي نفس الشهر وقعت غزوة ذات السلاسل، حين بعث الرسول صلى الله عليه وسلم جيشا بقيادة عمرو بن العاص لغزو بلاد الشام، وفي شهر شعبان من نفس السنة، أغارت سرية أبي قتادة على بني غطفان[4].

وفي 10 رمضان من السنة 8 هجرية، خرج رسول الله من المدينة على رأس جيش بلغ حوالي 10 آلاف و تمكن من فتح مكة، هذا الحدث كان مدويا في الطائف، ودفع ثقيف وهوازن إلى التعبئة والحشد لغزو مكة؛ فلما بلغ الخبر إلى رسول الله بادر إلى غزوهم، ، فوقعت غزوة حنين في 10 شوال من السنة 8 هجرية. وتجدر الإشارة إلى أن انتصار المسلمين فتح الطريق إلى الطائف وحصارها، إلا أنها استعصت عليهم[5]. وفي شهر رجب من السنة 9 هجرية، وقعت غزوة تبوك أو العسرة، وسميت بذلك لوقوعها في فصل الصيف، حيث قلت فيه الأقوات، وقد ساهم الصحابة بما لديهم لتجهيز الجيش، وبرز فيها سخاء عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد مضى هذا الجيش إلى غزو بلاد الشام. ثم أقبلت وفود قبائل العرب على رسول الله تعلن إسلامها، حتى اشتهر بعام الوفود[6].

لابد من ذكر زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد تزوج بعد أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، كل من سودة بنت زمعة، ثم عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر بن

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 56

[2] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 439، 440

[3] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 368- 373؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 440، 441

[4] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 373، 374

[5] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 547، 571؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 58- 64 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 441- 450

[6] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 79؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 450، 460

الخطاب، ثم زينب بنت خزيمة، ثم أم حبيبة، ثم أم سلمة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حيي، ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية، ثم أسماء بنت كعب، ثم عمرة بنت يزيد[1]، كما تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم مارية القبطية، وأنجب منها ولده إبراهيم، الذي ولد في شهر ذي الحجة من السنة 8 هجرية، وتوفي صغيرا وعمره لا يتجاوز سنة وعشرة أشهر[2]. وتجدر الإشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أدائه حجة الوداع، توفي يوم الاثنين ربيع الأول سنة 11 هجرية[3].

لابد من الاطلاع على موقف المستشرقين من السيرة النبوية، والمتتبع لكتاباتهم يكتشف وجود فريقين. الفريق الأول من المستشرقين لا يلبث إلا ويشكك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويهاجم الإسلام من خلال إثارة الشك في طبيعة الوحي وشخصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه، ونأخذ على سبيل المثال، المستشرق "دومنيك سورديل"، الذي اتخذ موقفا مظللا ومتطرفا تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم، وحاول جاهدا تشويه الإسلام، ومن ذلك التكذيب والتشكيك في الآيات القرآنية والأوامر الربانية، التي عمل بها رسول الله، واعتبره أنه ادعى كل ذلك ليبرر قراراته ونزواته، كتحويل القبلة، وحادثة الإفك، وتعدد زوجاته، والإجراءات التي اتخذها تجاه اليهود[4].

أما الفريق الثاني من المستشرقين انبهر وتملكه الإعجاب بشخصية محمد صلى الله عليه وسلم ودافع عنه، واعتبر أن هناك إرادة وعناية إلهية أحاطت بالرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة الإسلامية، ونأخذ على سبيل المثال " الكونت دوبولا نفيلييه "، الذي دافع عن محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة وحضارة المسلمين، واعتبرها حضارة نادرة في تاريخ البشرية على كافة الأصعدة، كما أنه كذب كل المزاعم التي طرحها الفريق الآخر من المستشرقين، وما يجول من أكاذيب وافتراءات حول شخصية محمد عليه الصلاة والسلام والمسلمين في أوساط رجال الدين وبعض المفكرين الأوربيين[5].

---

[1] ابن إسحاق، المصدر السابق، ص 279- 286؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 84

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 85، 87

[3] نفسه، ص 127؛ صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 442- 448

[4] دومنيك سورديل، الإسلام في القرون الوسطى، ترجمة علي المقلد، دار التنوير، بيروت، 2007، ص 30، 31

[5] دوبولا فيلييه، تاريخ العرب وحياة محمد، ترجمة مصطفى التواتي، ط1، منشورات كارم شريف، تونس، 2013، ص 59، 60

خلاصة القول، رغم وجود علامات النبوة ظاهرة على رسول الله، وظهور آيات جلية، إلا أن قريشا أظهرت العداء وتمسكت بوثنيتها. وقد عانى الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل إعلان كلمة الله، ودعوة الناس إلى التوحيد، فلقي وأصحابه شتى أنواع المضايقات والتعذيب والتنكيل، واعتمدت قريش طرقا وأساليبا منتهجة للقضاء على الدعوة الإسلامية، لكن هذا لم يقف حائلا أمام الدعوة، التي أوجدت في يثرب حاضنة اجتماعية، اعتنقت الإسلام ودافعت عنه، وبفضل الصبر والثبات تمكن المسلمون من إقامة دولة المدينة، التي تمكنت من بسط سلطانها على كامل أرجاء جزيرة العرب.

الفصل الثالث: الدولة الإسلامية في ظل الخلافة الراشدة

1 . طبيعة نظام الحكم

2 .كيفية اختيار الخليفة في هذه الفترة

3 . الإنجازات والتحديات

1.3 . عهد الخليفة أبي بكر الصديق

2.3 . عهد الخليفة عمر بن الخطاب

3.3 . عهد الخليفة عثمان بن عفان

4.3 . عهد الخليفة علي بن أبي طالب

1 . طبيعة نظام الحكم:

كان نظام الخلافة يقوم على الشورى، ولم يكن وراثيا، حيث أن بيعة الخليفة في عهد الخلافة الراشدة، كانت شورى بين المسلين، ويشترط في البيعة الإجماع والرضا على أن يعمل الخليفة بالكتاب والسنة. والجدير بالاهتمام أن كل خليفة اجتهد في طريقة كيفية اختيار الخليفة من بعده بما يحفظ وحدة الأمة وسلامتها[1].

2 . كيفية اختيار الخليفة:

بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (11- 13هـ/ 632- 634م):

بمجرد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، سارع الأنصار إلى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة، وهموا ببيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه؛ فلما بلغ الخبر إلى أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم جميعا، سارعوا إلى السقيفة، فدار جدال بين الفريقين، لا يمكن ذكره، إلا أننا سنكتف بذكر بعض تلك الحوارات، منها: قول حباب بن المنذر رضي الله غنه :" ... منا أمير ومنكم أمير ". وذَكَّرَ عمر رضي الله عنه الأنصار، أن رسول الله أمر أبا بكر أن يؤم الناس، وقال هو ثاني اثنين في الغار. وقال أبو بكر رضي الله عنه لسعد بن عبادة، أنت شاهد عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم". فقال سعد بن عبادة:" صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء". تجدر الإشارة إلى أن رغم الخلاف في بداية الأمر، إلا أن إجماع المهاجرين والأنصار على بيعة أبي بكر دون إكراه ورضاهم به، خلص إلى إعلان أبي بكر الصديق أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13- 23هـ/ 634- 644م):

نعتقد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، حين أدرك قرب منيته، وخاف نزاع الناس على الخلافة، سعى إلى الاجتهاد في تعيين خليفة من بعده وفقا لمبدأ الشورى، يكون يجمع بين العدل والإحسان وبين القدرة على تحمل مسؤولية رعاية مصالح الأمة وحفظ الدين، والأمر المثير للاهتمام أن هذه الصفات والشروط اجتمعت كلها في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فانتخبه

---

[1] الماوردي أبو الحسن علي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق عصام فارس الحرستاني ومحمد إبراهيم، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 13

[2] أبو بكر بن العربي، العواصم من القواسم، ط1، مكتبة الأنصار، مصر، 2006، ص 272؛ الدّينوري مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص 8- 19؛ الماوردي، المصدر السابق، ص 16، 17، 21؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 742

خليفة للمسلمين، وهذا بعد أن شاور في ذلك كبار الصحابة، الذين شكلوا ما يعرف فيما بعد في الفكر السياسي الإسلامي بأهل الحل والعقد. فكان اجتهاد أبي بكر ينصب على حصر المرشحين للخلافة في شخص عمر رضي الله عنه، حتى لا تفترق الأمة وتنقسم، كل طائفة تتعصب لمرشح؛ فلما أثنى عليه كبار الصحابة من أهل الحل والعقد، عرض ذلك على رؤساء القبائل، وعامة الناس فرضوه خليفة بالإجماع، وأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن يكتب بيعة عمر رضي الله عنه في الصحيفة، حتى يطمئن على وحدة المسلمين[1].

بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23- 35هـ/644- 656م):

بمجرد أن طُعِن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد أبي لؤلؤة المجوسي في شهر ذي الحجة سنة 23 هجرية، سارع إلى الاجتهاد في وضع منهج يحدد طريقة اختيار الخليفة من بعده على أساس مبدأ الشورى، فاختار ترشيح ستة من كبار الصحابة، وترك لهم الأمر في التفاوض، والاتفاق على مرشح واحد من بينهم، ليكون هناك إجماع للمسلمين على مبايعة مرشح واحد للخلافة، ويتفادى بذلك انقسام المسلمين إلى طوائف، كل طائفة تتعصب لمرشح، ويكون ذلك تهديدا خطيرا على وحدة الأمة وسلامتها. هؤلاء الستة، يمكن اعتبارهم أهل الحل والعقد، وهم: علي بن أبي طالب؛ عثمان بن عفان؛ عبد الرحمن بن عوف؛ الزبير بن العوام؛ طلحة بن عبيد الله؛ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم جميعا. بإمكاننا اعتبار هؤلاء، هم أهل الحل والعقد، وتجدر الإشارة إلى أن عملية التفاوض، انتهت بالاتفاق على ترشيح عثمان بن عفان رضي الله عنه للخلافة، فبايعه الناس طواعية ورضوه خليفة عليهم[2].

بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (35- 40هـ/ 656- 660م):

وقوع الفتنة بخروج المارقين على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والدعوة إلى الثورة بحجة القضاء على الفساد، وقد أخذوا على الخليفة عثمان رضي الله عنه الكثير من المآخذ زورا وبهتانا، حيث تمكن الخليفة من إثبات بطلانها جميعها بالحجة والبرهان يوم حاورهم، ورغم محاولات الصحابة من جهة ومعاوية بن أبي سفيان من جهة أخرى التدخل، وفك الحصار عنه، والقضاء على المتمردين، إلا أنه رفض خوفا من إراقة دماء المسلمين، وانتهت الأزمة بمقتله في 12 ذي

---

[1] أبو بكر بن العربي، المصدر السابق، ص 274؛ الدّيتوري مسلم بن قتيبة، الإمامة، المصدر والجزء السابقان، ص 20- 22؛ الماوردي، المصدر السابق، ص 21؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 751

[2] أبو بكر بن العربي، المصدر السابق، ص 274؛ الماوردي، المصدر السابق، ص 17، 21، 23، 24؛ الدّينوري مسلم بن قتيبة، الإمامة، المصدر والجزء السابقان، ص 23- 27؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 763

الحجة سنة 35 هجرية، فسارع الصحابة إلى التعجيل بإقناع علي رضي الله عنه بتولي الخلافة، ورضي المسلمون ذلك وبايعوه. والأمر المثير للاهتمام، بالرغم من أن علي رضي الله عنه، كان له كامل الحق في الخلافة، إلا أن المسلمين انقسموا، فمنهم من تكتل إلى جانب معاوية بن أبي سفيان بحجة طلب القصاص من قتلة عثمان، والبعض الآخر خرج مع معسكر عائشة رضي الله عنها يطالب بدم عثمان قبل عقد أي بيعة. والمتتبع للأحداث يجد غياب الأرضية لاستكمال، ووضوح رؤية بناء مشروع سياسي لتوطيد أسس وقواعد انتخاب خليفة للمسلمين، لأن مسار الاجتهاد وتبلور هذا الفكر السياسي انقطع باغتيال الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأدخل الأمة في فوضى الانقسام والصراع على السلطة[1].

3 . الإنجازات والتحديات:

1.3 . عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

يعد جمع القرآن في صحف من أهم الإنجازات وأفضلها في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، وسبب ذلك يرجع إلى مقتل الكثير من القراء وحفظة القرآن في معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب؛ فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشار على أبي بكر رضي الله عنه بحفظ القرآن عن طريق جمعه في صحف، فاستدعى الخليفة زيد بن ثابت رضي الله عنه وأمره بذلك، فجمعه كله، لكن آخر سورة التوبة بحث عنها فلم يجدها، إلا عند خزيمة بن ثابت[2].

وقد انشغل الخليفة بما يعرف بحروب الردة، التي كادت تقضي على الدولة الإسلامية الناشئة، ومثلت تحديا كبيرا للصحابة وعلى رأسهم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ورغم ما أشار إليه الصحابة من توجيه الجيش الإسلامي إلى الدفاع عن المدينة المنورة، وإخضاع القبائل المرتدة الرافضة تأدية الزكاة أو الراغبة في الاستيلاء على خيرات المدينة والقضاء على المسلين، ومدعي النبوة. هذا الجيش الذي جهزه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمّرَ عليه أسامة بن زيد، كان يريد أن يغزو به بلاد الشام لقتال البيزنطيين ومن معهم من قبائل العرب، انتقاما لما وقع في غزوة مؤتة، لكن الخليفة وجه الجيش حسب ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وجمع من كان بالمدينة للدفاع عنها وحمايتها من القبائل المرتدة؛ فلما عاد أسامة قام بتنظيم الجيش وإعداده، فقسم الجيش

---

[1] الطبري، المصدر السابق، م3، ص 14، 15، 81، 82، 89، 90؛ أبو بكر بن العربي، المصدر السابق، ص 275، 276، 277؛ الدّينوري، الإمامة، المصدر والجزء السابقان، ص 31، 43، 48، 69؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 772- 775

[2] أبو بكر بن العربي، المصدر السابق، ص 277 – 279

إلى ألوية، فبعث جيشا بقيادة عكرمة بن أبي جهل وسويد بن مقرن إلى اليمن لقتال الأسود العنسي، وجيشا بقيادة العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وجيشا بقيادة عمرو بن العاص لقتال قبائل قضاعة، وجيشا بقيادة خالد بن الوليد لقتال قبائل طيء وأسد، وجيشا لقتال مسيلمة بن حبيب الكذاب بقبائل بني حنيفة، وجيشا إلى عمان لقتال ذي التاج[1].

الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه حقق انتصارا ساحقا في حروب الردة، وتمكن من القضاء على مسيلمة الكذاب، وإنهاء أمر مدعي النبوة، وإخضاع القبائل المرتدة من جديد لسلطة الخلافة. فلما استتب الأمن في جزيرة العرب، اتجه إلى توجيه الجيوش الإسلامية لفتح العراق والشام، وكان أول الأمر قد أذن للمثنى بن حارثة الشيباني لغزو أرض العراق مما تليه، لأن قبيلته بني شيبان كانت مواطنها بالعراق، وبعث كتابا إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة، يأمره بالزحف إلى الحيرة بالعراق، ففتح الأبلة واشتبك مع جيش الفرس بقيادة هرمز في معركة ذات السلاسل بالكاظمة في شهر محرم سنة 12هـ، انتصر فيها المسلمون وقتل هرمز، ثم وقعت معركة الثني أو المذار في شهر صفر، وكان على رأس الجيش الفارسي قارن بن قريانس، فقتل أكثر من 30 ألف من الفرس بما فيهم القائد قارن. وقد خاض المسلمون بالعراق الكثير من المعارك، نذكر منها: الوجلة؛ أليس؛ بادقلي وفتح الحيرة؛ ذات العيون بالأنبار؛ وعين تمر؛ دومة الجندل؛ حصيد؛ الخنافس، وغيرها[2].

أما فيما يخص فتوح بلاد الشام، فقد وجه إليها الخليفة أربع ألوية، بحيث وجه الجيش الأول بقيادة شرحبيل بن حسنة إلى وادي الأردن، والجيش الثاني بقيادة يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، والجيش الثالث بقيادة عمرو بن العاص إلى فلسطين، والجيش الرابع بقيادة أبي عبيدة بن الجراح إلى حمص. فلما رأى الأمراء الأربعة كثرة جيش بيزنطة والقبائل العربية الموالية لهم، كتبوا إلى الخليفة يبلغوه بخطورة الوضع والحاجة إلى الدعم، ثم كان الرأي الاجتماع بأجنادين؛ فكان على الخليفة إلا أن يطلب من خالد بن الوليد المسير إلى الشام لدعم جيش المسلمين، فاجتمع بهم في

---

[1] البلاذري أحمد بن يحي، البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق نجيب الماجدي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2008، ص 93- 104؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 743- 748؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 129- 131؛ الطبري، المصدر السابق، ج2، ص 305- 353

[2] الطبري، المصدر السابق، ج2، ص 360- 380؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 226- 233؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 485- 489

أجنادين، وسلموا له إمارة الجيش، وقد وضع الخطة وأعد العدة. وتوفي الخليفة أبو بكر قبل اندلاع المعركة في 22 جمادى الآخرة سنة 13هـ/ 634م[1].

2.3. عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

خاض جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد أولى معاركه الكبرى المصيرية في مسيرة فتوح الشام وما بعده، وهي معركة أجنادين في يوم 6، وقيل 12 من شهر جمادى الأولى سنة 13هـ/ 634م. فيما يخص مجموع جيش المسلمين كان يقدر بحوالي 46 ألف، مقابل جيش بيزنطة والقبائل الموالية له، الذي قدر بأكثر من 100 ألف، وانتهت المعركة بانتصار ساحق للمسلمين، فتح أمامهم الطريق إلى دمشق، فلما اقتربوا منها اشتبكوا مع الجيش البيزنطي وقائده ماهان، فقتل ماهان وأكثر جنده، ودخل المسلمون المدينة بعد ما يقارب 6 أشهر من الحصار في رجب سنة 14هـ/ 635م. فلما حققوا هذا الانتصار الكبير استطاعوا القضاء على باقي جيش بيزنطة وفتحوا فحل، وحمص، والأردن. والجدير بالذكر، أن معركة اليرموك التي وقعت في شهر رجب سنة 15 هجرية/ 636م، وبلغ فيها عدد الجنود البيزنطيين ما يقارب 200 ألف، وتعد أهم معركة فاصلة في توطيد أقدام المسلمين وقطع أمل البيزنطيين نهائيا في استعادة بلاد الشام، وقد قتل في هذه المعركة أكثر من 40 ألف جندي بيزنطي، وفتحت المجال إلى سقوط ما تبقى من بلاد الشام في أيدي المسلمين، حيث استكمل عمرو بن العاص فتح فلسطين، وفتح أبو عبيد بن الجراح قنسرين في سنة 16 هجرية/ 637م، ثم بيت المقدس في سنة 17 هجرية/ 638م، وفتح عمرو بن العاص الإسكندرية وأرض مصر في 20 هجرية/ 641م. لابد من الإشارة إلى وقوع اختلاف بين المؤرخين حول معركتي اليرموك وأجنادين، كما اختلفوا حول مدة حصار دمشق وضبط تاريخ افتتاحها، ومن ذلك أن الطبري اعتبر وقوع معركة اليرموك في سنة 13 هجرية/ 634 م، أما معركة أجنادين في سنة 15 هجرية/ 636 م[2].

فيما يخص العراق، لما تعاظم خطر الفرس سارع المثنى بن حارثة إلى المدينة المنورة يطلب الدعم من الخليفة؛ فلما قدم كان جيش الإسلام يفتح بلاد الشام، فدعا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه القبائل للتعبئة والحشد للمسير إلى العراق، فلم يجد استجابة؛ فاستوعب الوضع ودعا

---

[1] الواقدي أبو عبد الله محمد، فتوح الشام، ج1، ط2، دار صادر، بيروت، 2010، ص 11- 60؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 105- 110؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 135، ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 491- 493

[2] البلاذري، المصدر السابق، ص 112- 147؛ الواقدي، المصدر السابق، ص 57- 157؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص494، 516، 517، 518؛ الطبري، المصدر السابق، ج2، ص 522- 527

قبائل الردة التي منعها الخليفة أبو بكر من الجهاد من قبل، ومنحها فرصة استعادة مكانتها بين القبائل الفاتحة، فلبت الدعوة وتبعتها باقي القبائل، واستطاع أن يحشد حوالي ألف جندي بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي، فساروا إلى الحيرة بالعراق وانظموا إلى المثنى بن حارثة، فصار جيش المسلمين يبلغ حوالي 10 آلاف، وفي المقابل زحف إليهم الفرس بجيش كبير على رأسه القائد جابان وعدد من مشاهير قواد الفرس، ودارت معركة النمارق ، التي انتهت بانهزام الفرس، وأسر كلا من القائدين جابان وجوشن[1].

إلا أن جابان استطاع الفرار والالتحاق بجيش الفرس بقيادة نرسي. فلما بلغ خبر الهزيمة إلى المدائن عاصمة إمبراطورية فارس، أرسل رستم جيشا آخرا بقيادة الجالينوس لدعم القائد نرسي، لكنه لم يدركه، وقد اشتبك الفريقان في معركة السقاطية بالقرب من واسط، انهزم فيها القائد نرسي وهرب . وكان القائد الجالينوس عسكر في باقسياثا، حيث دارت بينه وبين المسلمين معركة انتهت بفراره إلى المدائن. هذه الخسائر الفادحة والمتتالية، دفعت رستم إلى إعداد جيش كبير بقيادة بهمن جاذويه ورافقه الجالينوس، فتقابل الجيشان بمعركة الجسر، وكان أبو عبيد أخطأ حين فضل عبور الجسر على نهر الفرات ليقتلهم، فحوصر جيش المسلمين من أمامهم الفرس ومن خلفهم النهر، وقد خافت خيل المسلمين من الفيلة فاضطربت وأثرت في سير المعركة، فانهزم المسلمون ورفست الفيلة أبا عبيد وقتلته، وكانت خسائر المسلمين فادحة، حيث قتل 4 آلاف، بالإضافة إلى ألفين ما بين غريق وهارب، ونجا 3 آلاف، أما عدد قتلى الفرس بلغ 6 آلاف. كان المثنى بن حارثة قد رابط بمدينة أليس ينتظر الدعم من الخليفة بعد هذه الهزيمة؛ فلما بلغه الدعم اشتبك مع الفرس في معركة البويب (البويب نهر يمر بالقرب من موضع الكوفة)، وقد وقعت في شهر رمضان من السنة 13 هجرية/ 634 م، انهزم فيها الفرس، وقتل فيها قائدهم مهران، كما وقتل منهم ما يقارب 100 ألف، أما قتلى المسلمين بلغ حوالي 100 شهيد[2].

وفي فتوح العراق، تعد معركة القادسية أهم المعارك التي فتحت الطريق للاستيلاء على المدائن. فلما تعاظم خطر المسلمين اتفق الفرس على توحيد صفوفهم تحت حكم الملك يزدجرد بن شهريار، وكان المثنى قد تأثر بجراح عميقة أصيب بها فمات، وبحكم التطورات الحاصلة بعث

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 496، 497؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 142؛ الطبري، المصدر السابق، م2، ص 422- 425

[2] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 498، 499؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 142، 143؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 235- 238؛ الطبري، المصدر السابق، م2، ص 426- 434

الخليفة جيشا بقيادة سعد بن أبي وقاص، وقد بلغ جيش المسلمين حوالي 36 ألف، أما الفرس حوالي 120 ألف و33 فيلا بقيادة رستم أعظم قواد الفرس، ودامت المعركة ما يقرب 3 أيام، وقد اختلف معظم المؤرخين في ضبط تاريخ المعركة بين سنوات: 14 أو 15 أو 16هجرية/ 637م. إلا أنه من المرجح وقوعها سنة 15هجرية/ 636م، وفيها قتل آلاف الفرس وقائدهم رستم، واستشهد من المسلمين ما يقارب 6 آلاف[1].

فلما انتصر المسلمون في القادسية، فتحت لهم الطريق، واستولوا على بابل، ففر الفيرزان إلى نهاوند، وفر الهرمزان إلى الأهواز، وفر كلا من الخيرجان ومِهران إلى المدائن. فحسب الطبري فتح المسلمون بهرسير في شهر ذي الحجة سنة 15 هـ/ 636م، ودخلوا المدائن في صفر سنة 16هـ/ 637م، بعد فرار الملك يزدجرد إلى حلوان، و هناك أعد الجيش لاستعادة عاصمة ملكه المدائن، لكنه تفاجأ بجيش المسلمين بقيادة هاشم بن عقبة، فانهزم الفرس في معركة جلولاء، واستولى المسلمون على حلوان، وفر الملك يزدجر إلى الري. لابد من الإشارة إلى أن في هذه السنة تم فتح تكريت وقرقيساء، وفي سنة 17 هـ/ 638م، تم فتح الجزيرة والأهواز وتستر وامهرمز، وفي سنة 21 هـ/ 642م، تم فتح أصفهان، وفي سنة 22 هـ/ 643م، تمكن المسلمون من فتح كل من همذان، والري، وقومس، وجرجان، وطبرستان، وأذربيجان، والباب. وفي هذه السنة فر يزدجرد من الري إلى خرسان، وقد واصل الجيش الإسلامي تقدمه، ففتح اصطخر وكرمان وسجستان ومكران سنة 23 هـ/ 644م[2].

الجدير بالاهتمام أن هناك إنجازات حضارية عرفتها هذه الفترة، ففي سنة 14 هـ/ 635م، قام المسلمون ببناء مدينة البصرة. ، ويعتبر التأريخ الهجري من بين أهم إنجازات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد اتخذ هذا القرار في شهر ربيع الأول سنة 16 هـ/ 637م، واعتُمِدَ بداية من شهر محرم سنة 17 هـ/ 638م. وقد سجل إنجازا آخر ببناء المسجد الحرام وتوسعته، وفي هذه السنة تم بناء مدينة الكوفة في موضع يلائم طبيعة بيئة حياة العرب ويناسب مراعي إبلهم، كما أن الخليفة عمر رضي الله عنه أجمع على تدوين الدواوين في شهر محرم سنة 20 هجرية/ 641م، وعمم الدواوين في كافة ولايات الدولة كديوان الكوفة وديون البصرة؛ فكان ذلك بداية

---

[1] الطبري، المصدر السابق، م2، ص 445- 500؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 239- 244؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 500- 210؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 143- 145

[2] الطبري، المصدر السابق، م2، ص 534- 554، 601- 642؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 511- 515؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 284- 291؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 151

لتأسيس دواوين الدولة الإسلامية وتنظيم إدارتها ومؤسساتها. أما فيما يخص التحديات والمصاعب التي واجهت دولة الخلافة، نذكر منها: السيول والفيضانات التي اجتاحت مكة وتسببت في وقوع الخسائر، وما كان على الخليفة إلا أنه اتخذ إجراءً سريعا وأمر بالردم لإيقاف أضرار تلك السيول. وتجدر الإشارة إلى أن أخطر الأوبئة التي عرفتها هذه الفترة، طاعون عمواس ببلاد الشام الذي وقع في سنة 17 هجرية/ 638م، ومات على إثره أكثر من 25 ألف، بالإضافة إلى وفاة الكثير من الصحابة وعلى رأسهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل وقع القحط والجفاف الذي طالت مدته، واشتهر بعام الرمادة سنة 18 هـ/ 639م، فاضطربت أحوال الناس وارتفعت الأسعار وانتشرت المجاعة، فتدخل الخليفة عمر رضي الله عنه وضبط السوق ومنع الاحتكار[1].

3.3. عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

كان الخليفة أبو بكر أول من جمع القرآن في صحف –كما قلنا سابقا – فلما كان عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، قدم إليه حذيفة بن اليمان من أذربيجان وأرمينية، التي كان يغزو فيها مع جيش المسلمين، وأخبره باختلاف الناس في ضبط قراءة القرآن؛ فلما أيقن بخطورة الأمر، طلب من حفصة رضي الله عنها أن تعطيه الصحف، التي آلت إليها من أبيها عمر بن الخطاب، الذي احتفظ بها من أبي بكر الصديق، وسارع إلى إنشاء لجنة ضمت كل من: زيد بن ثابت؛ سعيد بن العاص؛ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ عبد الله بن الزبير. وطلب منهم نسخ الصحف في مصاحف على لسان قريش، لأنها اللغة التي نزل بها، واختلفت الروايات حول عدد المصاحف والبلدان التي بعث إليها، ومن ذلك من قال بعث بنسخة إلى كل من اليمن والشام والعراق واحتفظ بواحدة. والأمر المثير للاهتمام ما أفاد به السيوطي من أن الخليفة عثمان بن عفان هو أول من اتخذ صاحب شرطة، وبالتالي يعود له الفضل في إنشاء أهم مؤسسة من المؤسسات الأمنية في الدولة الإسلامية، وهذا خلافا لما ورد في روايات أخرى، وكذلك إنشاء المقصورة في المسجد خوفا أن يقع له ما وقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وتجدر الإشارة إلى الرخاء الذي عرفه المجتمع في عهده حتى انتشرت بعض أنواع اللهو واللعب، التي لم يعرفها المجتمع

[1] الطبري، المصدر السابق، م2، ص 513، 556، 568، 659، 560، 561، 581؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 256، 319، 399؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 330، 524؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 751، 761، 762؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 149- 153

من قبل كاللهو بالحمام والرمي بالجلاهقات، مما دفع الخليفة عثمان رضي الله عنه إلى تكسيرها والنهي عن فعل مثل هذه الأعمال[1].

فيما يخص الفتوحات، ففي سنة 24 هجرية/ 645م، والبعض ذكر سنة 26 هجرية/ 647م حسب اختلاف الروايات بين من قام بالغزو الوليد بن عقبة أم سعيد بن العاص، ويرجح أن يكون الوليد بن عقبة هو من أقدم على غزو أذربيجان وأرمينية بعد نقضهم للصلح، وأجبرهم على دفع الجزية. وفي هذه السنة سار سلمان بن ربيعة إلى الشام لدعم حبيب بن مسلمة ضد جيش بيزنطة بقيادة أوريان الرومي. وفي سنة 25 هـ/ 646م، تم إعادة فتح الإسكندرية على يدي عمرو بن العاص، وفي هذه السنة غزا عبد الله بن سعد إفريقية بعد أن أذن له الخليفة، وفي سنة 26هجرية/ 647م فتح المسلمون سابور؛ فلما كانت هذه السنة أقدم الخليفة على أهم إنجازاته بتوسعة المسجد الحرام، وفي سنة 30هـ/ 651م غزا سعيد بن العاص طبرستان، ووقوع أخطر حادثة تمثلت في سقوط خاتم الخلافة من إصبع الخليفة عثمان في بئر أريس؛ فلما دخلت سنة 31هـ/ 652م، سار ابن عامر من البصرة إلى فارس وافتتحها، وفر يزدجرد من خرسان إلى كرمان ومنها إلى مرو؛ فلما دخلها طلب منه عاملها وأعيان المدينة المال فرفض، فاستنجدوا بالترك عليه فأجابوهم، وقتل الملك يزدجرد ومن كان معه[2].

وفي سنة 32هجرية/ 653م فتح ابن عامر كل من مرو، والطالقان، والفارياب، والجوزجان، وطخارستان. لابد من الإفادة أن أعظم المعارك، كانت معركة الصواري، التي تعد أول معركة بحرية خاضها المسلمون وانتصروا فيها، وقد اختلف في ضبط تاريخ وقوعها، فمنهم من قال سنة 31هجرية/ 652م، ومنهم من قال 34هجرية/ 655م، وهذا الأرجح، وكان عبد الله بن سعد أمير مراكب المسلمين بعد استشارة أصحابه، لجأ إلى ربط وتوثيق المراكب جنبا إلى جانب، فصارت كقطعة واحدة، واشتبكوا مع مراكب البيزنطيين، التي بلغت حوالي خمسمائة مركب، ومات من الطرفين الكثير إلا أن خسائر العدو كانت أكبر، وأثخن أميرهم قسطنطين بن هرقل بالجراح، فانسحبوا مهزومين. الجدير بالذكر أن في هذه السنة خرج المارقون من مصر والكوفة، يدعون محاربة الفساد بهدف عزل الخليفة أو قتله، وقد حاصروه في بيته وقطعوا عنه الماء، واحتجوا

---

[1] أبو بكر بن العربي، المصدر السابق، ص 279؛ ابن خلدون، المصدر السابق، م2، ص 557؛ السيوطي، المصدر السابق، ص 128، 129

[2] الطبري، المصدر السابق، م2، 683، 684، 685، 686، 709، 711، 712، 713، 714، 715، 716

عليه بالعديد من الأكاذيب، أبطل جميعها بالحجة حين حاورهم، ورغم ذلك سارعوا إلى قتله يوم 18 ذي الحجة سنة 35 هجرية/ 656م أو سنة 36هجرية/ 657م[1].

4.3 . عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي عهده توقفت الفتوحات الإسلامية، ولم تحسب له إنجازات كبيرة نظرا لانشغاله بالفتنة الكبرى، وسعيه لتوحيد صف الأمة الإسلامية؛ فلما وقعت الفتنة، خرجت عائشة رضي الله عنها وبرفقتها جماعة من الصحابة من بينهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن الزبير، ودخلت البصرة فأجابوها وطالبوا بقتلة الخليفة عثمان؛ فلما فاوضت عليا على ذلك واتفقت معه على محاسبتهم، سارع هؤلاء إلى إعمال الحيلة وإشعال الفتنة، فوقعت معركة الجمل في شهر جمادى الأولى سنة 36هجرية/ 657م، انتصر فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بالإضافة إلى ذلك اشتبك مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في معركة صفين سنة 36هجرية/ 657م، وقد استمر القتال بين الفريقين إلى سنة 37هجرية/ 658م، والتي انتهت بانهزام معاوية بن أبي سفيان. والجدير بالذكر أن معاوية بن أبي سفيان وقع في مأزق كبير، وضيق عليه الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لولا أخذه بالحيلة والخديعة التي أقدم عليها عمرو بن العاص، والتي اتضحت جليا حين لجأ الطرفان إلى التحكيم وعارض فريق من شيعة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخرجوا عنه، فسميوا بالخوارج، وأقدم هؤلاء على ارتكاب جرائم فظيعة، وأراقوا دماء المسلمين، فتوجه إليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأوقع بهم هزيمة نكراء في معركة النهر أو النهروان سنة 37 هجرية/ 658م؛ فلما قتل أكثرهم وفرق جمعهم، اتفق بعضهم على أن سبب الفتنة ثلاثة، هم: معاوية بن أبي سفيان؛ عمرو بن العاص؛ علي بن أبي طالب. فبعثوا إليهم من يقتلهم، ففشلوا إلا عبد الرحمن بن ملجم فقد نجح في قتل الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سنة 40 هجرية/ 661م[2].

خلاصة القول، شهدت الأمة الإسلامية الانطلاقة الحضارية، وأرقى درجات العدالة الاجتماعية في عصر الخلافة الراشدة، فلم يكتف الخلفاء الراشدون بالإقدام على أعظم الفتوحات

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 550، 551، 567، 568؛ الطبري، المصدر السابق، م2، ص 709، 722، 723

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 182، 183، 187، 188، 189؛ الطبري، المصدر السابق، ج3، ص 63، 67، 71، 82، 94، 99، 128، 137؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص 597، 607، 609

المصحوبة بالروح الإنسانية المثالية، التي لم يشهدها التاريخ البشري من قبل، بل أكثر من ذلك اتسمت هذه الفترة بإنجازات حضارية عظيمة وضعت أساس المسار الحضاري للدولة الإسلامية. ورغم ما شهده المجتمع الإسلامي من مشاكل وصعوبات، إلا أن حكمة وعدالة الخلفاء الراشدين أوجدت حلولا ناجعة تجاوزوا بها آثار تلك الأزمات على المسلمين. ونستخلص من هذه الدراسة الفضائل الإنسانية والعبقرية، التي اشتهر بها الخلفاء، والتي أثارت إعجاب حتى أعداء الإسلام، وشكلت فارقا مفصليا في التاريخ الحضاري للأمم، وكذلك الرضا المجتمعي الذي ميز فترة الخلافة الراشدة.

الفصل الرابع: تطور المجتمع في العهد الراشدي

1 . الأسرة ووضع المرأة
2 . الفوارق الاجتماعية
3 . الأخلاق والعادات والتقاليد
4 . اللباس والغذاء
5 . اللهو ومجالس الأنس

الفصل الرابع: تطور المجتمع في العهد الراشدي

بالإمكان القول أن الحلم البشري في إيجاد المجتمع الفاضل، حيث ينعم الجميع بالعدالة الاجتماعية والتمتع بالحقوق التي أوجبها الله تعالى لعباده، وقد تجسد ذلك في مجتمع الخلافة الراشدة، فلم يكن المجتمع في فترة الخلافة الراشدة إلا استمرارية لمجتمع العهد النبوي، والتي جسدت قطيعة مع المجتمع العربي في العصر الجاهلي، باستثناء ما أقره الإسلام. من هنا نتساءل: كيف كان وضع الأسرة وحال المرأة؟ ما هي الأخلاق والعادات والتقاليد التي ميزت هذه الفترة؟ ما هي الألبسة والأطعمة التي اشتهر بها المجتمع؟ ما مدى شيوع مجالس الأنس واللهو في المجتمع؟

1 . الأسرة ووضع المرأة:

تعتبر الأسرة نواة المجتمع، فصلاحه من صلاحها، لهذا انصبت جهود الإسلام على حفظ الأسرة. وكان الزواج بالتراضي، النكاح الوحيد الذي أقره الإسلام وبقي سائدا في مجتمع الخلافة الراشدة، وحرم باقي أنواع الأنكحة الفاسدة التي كانت شائعة في العصر الجاهلي[1]، وكان على الرجل أن يلتزم بدفع حق المرأة من صداق ومهر، وله الحق في تعدد الزوجات، بشرط أن يلتزم بنكاح أربع نساء فقط، ويكون قادرا على كفالتهم ماديا ونفسيا والمساواة بينهم. قال الله تعالى: {وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا}[2]. وهذا أحدث قطيعة مفصلية مع حياة العرب في الجاهلية، ومن ذلك أيضا أن مدة عدة المطلقة صارت ثلاثة أشهر فقط. قال الله تعالى:{ واللائي يَئِسْنَ مِنَ المحيض مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارتبتم فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ واللاتي لَمْ يَحِضْنَ}[3]. تجدر الإشارة إلى أن المرأة في العهد الإسلامي صارت تتمتع بالكثير من الحقوق، التي شرعها لها الإسلام كالميراث، الذي كانت محرومة منه في العصر الجاهلي. قال الله تعالى: { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ }[4].

الجدير بالاهتمام أن المرأة قبل أن تزف إلى زوجها، تجتمع معها أمها وتقدم لها نصائح تتجلى في كيفية التعامل مع زوجها في حياتها الأسرية وحتى في علاقاتها الجنسية، ولا تبخل عنها في إعطائها توجيهات تصب في محاولة إنجاح زواج ابنتها، وهذه النصائح هي عصارة خبرتها

---

[1] أفادت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بعدد من الأنكحة الفاسدة، وأقرت بجواز الإسلام نكاح التراضي دون سائر الأنكحة. ينظر: الإمام البخاري، المصدر السابق، كتاب النكاح، رقم 5127، ص 621

[2] سورة النساء، الآية 4

[3] سورة الطلاق، الآية 4

[4] سورة النساء، الآية 11

الزوجية. أما الأب فهو الآخر يقدم على تقديم النصائح والوصايا، التي استخلصها من خبرته الزوجية، بحيث يسعى إلى توضيح السلوك الواجب أن تتبعه ابنته لتتفادى فشلها في حياتها الزوجية[1]. والأمر المثير للاهتمام، إقدام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إحصاء عدد السكان قصد توزيع العطاء، فأحصى الأسر ودونها في سجل، وقسم عليها العطاء بالتساوي ، لا فرق بين رجل وامرأة، كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم بعد ذلك صار يميز بين الناس في العطاء على حسب الأسبقية والفضل في الإسلام، ومرتبة كل فرد، وقد دفعه كثرة أموال العطاء إلى تدوين الدواوين[2]

وكان قد وصل إليه مال كثير، بعث به أبو هريرة من البحرين بلغ حوالي سبعمائة ألف درهم، امتلأ به بيت مال المسلمين، وكان لهذا العطاء أثر كبير على الوضع المعيشي للأسرة، وتحسين المستوى المعيشي للناس على ما كانوا عليه قبل فترة الخلافة الراشدة[3]، بالأخص أن هذا العطاء كثر وتضاعف في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، حتى أن بعض الروايات أفادت بمدى الرخاء والسعة التي بلغها المجتمع الراشدي آنذاك[4]. والجدير بالاهتمام، ما أقدم عليه الخليفة عمر رضي الله عنه، حين لم يساوي بين المتزوج والأعزب في العطاء، فأعطى المتزوج ضعف ما أعطاه للأعزب، وبدخل هذا في سياسة الاهتمام بالأسرة وتقدير حجم المسؤولية التي هي على عاتق أرباب البيوت[5].

لابد من الإشارة إلى أن الأسر الغنية والميسورة يجلبون البنَّائين المهرة، وينفقون الكثير من المال في شراء الآجر والجص، وينشئون بيوتا فاخرة حتى أن البعض كان يزخرف بيته بالفسيفساء ويكثر من زينتها، وفي المقابل كان البعض يسكن بيوتا متواضعة حسب قدرته المالية وطبيعة عمله، وذكرت إحدى الروايات أن الخليفة عمر بن الخطاب وقف عند بيت فخم يبنى بالآجر والجص، فلما أبلغ بأنه ملك لأحد عماله، بعث إليه ليأخذ نصف ماله، وهذا يدخل في سياسة عمر لكبح

---

[1] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 86، 87، 88

[2] الماوردي، المصدر السابق، ص 307، 308؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 153؛ زريف مرزوق، المرجع السابق، ص 28، 40

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 153

[4] البلاذري، المصدر السابق، ص 398- 408؛ المقدسي، المصدر السابق، ص 751

[5] زريق مرزوق، المرجع السابق، ص 25

الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية[1]. وتجدر الإشارة إلى أننا نكتشف من قراءة العديد من الروايات استخدام العديد من الوسائل في إنارة البيوت والمساجد كسعف النخيل أو إشعال القنديل بالزيت أو الشمع. وهذا يتوقف على حسب القدرة المالية لكل أسرة[2].

2 . الفوارق الاجتماعية:

المجتمع في العهد الراشدي كان يتكون من عدة أعراق وقوميات وأتباع باقي الديانات السماوية كاليهود والنصارى، وقد تعددت الأعراق فنجد الأحباش والرقيق والموالي، ورغم هذا التنوع، إلا أن المجتمع كان فاضلا في نظرته وسلوكه تجاه الموالي والعبيد، امتثالا لأوامر الله عز وجل الذي قال في كتابه العزيز الحكيم:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[3].

الجدير بالاهتمام، أن المساواة في المجتمع أذابت الفوارق الاجتماعية، فصار للفقراء حق على الأغنياء، والوازع الديني والأخلاقي يدفع الأغنياء لإخراج من أموالهم صدقة وزكاة تمنح إلى الفقراء والمساكين فيما يدخل ضمن نطاق العدالة الاجتماعية. فحبب الإسلام الإنفاق في الخير وما كلن على المسلمين إلا الاستجابة بالأخص في هذه الفترة. قال الله تعالى:{ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[4]. وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام حث على تحرير العبيد والإحسان إليهم على اعتبارهم أنهم بشر، والناس سواسية في الحق في الحياة الكريمة، فسارع الناس إلى تحرير العبيد، والبعض كان يعمل لتوفير المماء والتصدق به عن طريق تحرير الناس من العبودية، وكان نتيجة ذلك ارتفاع أعداد الموالي في هذه الفترة، لأن العبد حين يعتق يصير مولا لمن أعتقه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: (ابتاعي فاعتقي، فإنما الولاء لمن أعتق)[5].

3 . الأخلاق والعادات والتقاليد:

---

[1] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 232

[2] العاقولي، المصدر السابق، ص 142، 143؛ اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 163

[3] سورة الحجرات، الآية 13

[4] سورة البقرة، الآية 261

[5] الإمام مسلم، المصدر السابق، كتاب العتق، رقم 8، ص 702

بالإمكان القول أن المجتمع الإسلامي في عهد الخلافة الراشدة حافظ على جميع فضائل الأخلاق والعادات والتقاليد التي أقرها الْسلام، وهي من الموروث الحضاري للعرب في الجاهلية، بالإضافة إلى ما فرضه الله عز وجل وأمر المسلمين باتباعه، ومن ذلك عادات الدفن، أن يغسل الميت بالماء والسدر ويلف بقطعة قماش ويدفن في التراب كما ذكرنا سابقا، لكن ما أضاف الإسلام يتمثل في بعض التغييرات الشرعية كطريقة تغسيل الميت والتكبير وصلاة الجنازة وتسوية القبر بالأرض إلا بشاهد يدل على القبر. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من شَهِدَ الجَنَازَةَ حتى يُصَلَى عَلَيها فَلَهُ قِراطٌ ومن شَهِدَهَا حتى تُدْفَنَ فَلهُ قِراطَينِ)[1]. وقال أيضا: (إذَا كَفَنَ أحَدُكُم أخَاهُ فَليُحسِنْ كَفنُهُ)[2]. رغم توجيهات الرسول صلى الله عيه وسلم في تحريم ونبذ تصرفات الجاهلية إلا أن بعض هذه السلوكيات استمر في العهد الراشدي، وهذا نستخلصه من حديث رسول الله، الذي ذكر أربع معاصي ومحرمات تبقى حاضرة في المجتمع الإسلامي، وذكر منها النياحة، فهي لازمت المصائب في المجتمع، وقد اختص بها بعض النسوة، وتمارس تعبيرا عن الحزن الشديد[3].

الأمر المثير للاهتمام وقوع قطيعة تامة مع بعض عادات العرب في الجاهلية، واستبدالها بعادات نابعة من الشخصية الإسلامية، وقد ذكرنا أن العرب كانت من عادتهم أن يؤرخوا أخبارهم ومواليدهم ووفياتهم بتاريخ وفاة جدهم قصي بن كلاب، ثم انتقلوا إلى التأريخ بعام الفيل، إلا أن في فترة الخلافة الراشدة صار التأريخ بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبذلك تم إنشاء مبدأ تأريخ إسلامي لتوثيق تواريخ المواليد والوفيات والأحداث وعقود ومواثيق الزواج والطلاق وغير ذلك[4]. كما أن النظرة لبعض العادات الاجتماعية تغيرت بفعل تأثير الاعتقاد والفكر الإسلامي، ومن ذلك التطير، الذي يعد من أكثر عادات العرب تأثيرا في الحياة الاجتماعية كالتطير ببعض أنواع الحيوان أو المرض، ومن ذلك العطس[5]، فصار المسلم وفقا للآداب الإسلامية ينظر إلى العطس كرحمة من عند الله وليس شؤما كما كان في عصر الجاهلية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] الإمام مسلم، المصدر السابق، كتاب الجنائز، رقم 52، ص 420

[2] نفسه، رقم 49، ص 419

[3] نفسه، رقم 29، ص 415

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، م2، ص 7؛ الطبري، المصدر السابق، م2، ص 659

[5] الدينوري مسلم بن قتيبة، المعاني، المصدر السابق، م2، ص 373

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ)[1]

رغم أن المجتمع كان مشبعا بالأخلاق الحميدة، وتحسن مستوى العقلي الجماعي والفردي، الذي صار يدرك الأخلاق الفاضلة والعادات الحسنة المفيدة، نظرا للتأثير البالغ لتعاليم الدين الإسلامي في هذه الفترة الغير بعيدة عن مجتمع النبوة، وبوجود صحابة رسول الله والخلفاء الراشدين، فاتجه المجتمع إلى احترام ومراعاة الألفاظ والمعاملات الاجتماعية حتى لا يكون هناك فرق بين المسلمين وغير المسلمين، وكذلك بين العرب والعجم،، ولا بين السيد والعبد والمولى، فاتصفوا بأرقى الأخلاق المفقودة في باقي المجتمعات خلال تلك الفترة، فكان مجتمعا فاضلا بقيمه وأخلاقه، وهذا باتباع القرآن والسنة خلال فترة الخلافة الراشدة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وأَمَتِي كُلُكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ وكُلّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ ولَكِنْ لِيَقُلْ: غُلاَمِي وجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي)[2]

الجدير بالاهتمام، أن الإسلام شجع على التمسك بمكارم الأخلاق، التي كانت شائعة في الجاهلية، كالكرم، والوفاء بالعهود والمواثيق، والالتزام بالوعد، وحفظ الأمانة والوديعة، والإباء والصدق والنفور من الكذب والخداع[3]، وجاء الإسلام ليعزز الروابط الاجتماعية، ويقوي صلة الرحم، فصار ذلك راسخا في أخلاق وعادات المجتمع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الرَحِمُ مُعَلَقَةُ بالعَرشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ الَّهُ. وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ)[4]. ومن تلك الأخلاق الفاضلة زيارة المريض، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عَائِدُ المرِيضِ فِي مَخْرِفَةِ الجَنَّةِ حتى يَرْجَعَ)[5]. والأمر المثير للاهتمام، أن الأفراد والجماعات في المجتمع كانت لهم قناعة وإيمان بضرورة النظافة وإزالة الأذى عن الطريق، فكان ذلك دافعا لتتأصل في نفوس الناس خلال هذه

---

[1] الإمام البخاري، المصدر السابق، كتاب الآداب، باب ما يستحق في العطاس وما يكره في التثاؤب، رقم 6223، ص 731

[2] الإمام مسلم، المصدر السابق، كتاب الألفاظ من الأدب، رقم 14، ص 1070

[3] صفي الرحمن المباركفوري، المرجع السابق، ص 47

[4] الإمام مسلم، المصدر السابق، كتاب البر والصلة والآداب، رقم 17، ص 1190

[5] نفسه، كتاب البر والصلة والآداب، رقم 39، ص 1195

الفترة الالتزام الروحي والإنساني بنظافة المدن والدور ضمن عقد اجتماعي أسس له كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام[1].

4 . اللباس والغذاء:

كان المجتمع الراشدي يتمتع بأصناف مختلفة من الأطعمة والأشربة، ومنها ما كان مصدر ولع عند الكثيرين من الناس، وقد تنوعت الأطعمة والأشربة الشهية، التي كانت حاضرة في غالب الأحيان في موائد العائلات ومجالس الضيافة والحفلات، ومن الأطعمة الشائعة في المجتمع، نذكر العسل، والحريرة، والدباء، والثريد، والسمك، والسلق، والتمر، والمنقوع باللبن المخلوط بالقثاء، واللحم الحلال بأنواعه، والكبد المشوي، وتد هذه الأطعمة المفضلة لدى الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

الأمر المثير للاهتمام، أن الكثير من الأطعمة التي كان يقبل عليها العرب في الجاهلية استمر حضورها في هذه الفترة، ومن ذلك إقامة الولائم، بحيث يقدم فيها أصناف مختلفة من الطعام، بالإضافة إلى الشواء والنبيذ، وكان الثريد من أشهر الأطعمة المفضلة في المجتمع، ويحتوي على خبز مهشم في مرق ولحم، والكثير من أعراب البادية يفضلون أكل اللحم وترك المرق، ويسمى عندهم المرق بالسخين، لأنهم يأكلونه ساخنا قبل أن يبرد. وتجدر الإشارة إلى أنهم كانوا يأكلون الشاة كاملة، إلا دماغ الرأس، فإنهم كانوا يكرهون أكله وكانت مشوشة وقِلية ونبيذ التمر من أشهر الأطعمة والأشربة؛ وقِلية عبارة عن مرقة تصنع من أكباد الجزور ولحمه، أما مشوشة عبارة عن زيت مع بياض البيض، ويحضر بها طعام دسم، وكانت تقدم في مجالس الضيافة[3].

لابد من الإشارة إلى أن المجتمع في هذه الفترة عرف أنواعا مختلفة من الثمار كالتمر، والعنب، والباقلي، والجوز، وغيرها من ثمار الجزيرة العربية أو المجلوبة من البلاد المفتوحة، كما يعد اللبن والأقط والسمن من الأطعمة الأكثر وفرة، وكان الأقط يصنعه في الغالب النصارى من أهل الذمة[4]. تجدر الإشارة إلى توفر أنواع مختلفة من العصير، كل نوع حسب الثمار التي عُصر منها،

---

[1] جاء في مجموع من الأحاديث النبوية تحث على إماتة الأذى عن الطريق. ينظر: الإمام مسلم، المصدر السابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب إبعاد الأذى عن الطريق، رقم 127، 128، 129، 130، 132، ص 1212

[2] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج2، ص 179

[3] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 8؛ الدّينوري مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، المصدر السابق، ج3، ص 167، 171 ؛ الأصفهاني، المصدر والجزء السابقان، ص 249

[4] الدينوري، عيون الأخبار، المصدر السابق، ج3، ص 173

كالتمر والبسر والشعير والكرم، والزبيب، وكذلك الخلط بين الثمار كالخلط بين التمر والبسر، وبين التمر والزبيب وغيرها، باستثناء الخمر لأنها كانت من المسكرات التي حرمها الإسلام، وحرص الخلفاء الراشدون على معاقبة كل من يشربها، ورغم هذا كان هناك قليل من الناس يقبلون عليها في غالب الأحيان خفية[1].

الجدير بالذكر، أن اللباس لم يتغير كثيرا عن ما كان يلبسه العرب في الجاهلية، حيث تعددت أنواع الألبسة في المجتمع، ومن ذلك، نذكر: الجُبَّة، والعمامة، بحيث كانوا يفضلون لبس عمامة الخزّ، وكذلك لبس المطرف، وقد تعددت الجُبَّة وتنوعت، فمنها جُبَّة مركبة، وجُبَّة مصنوعة من الصوف، وجُبَّة وشي. كما كان هناك الرداء، حيث يحبذ البعض لبس رداء وشي، ويضعون حزاما من عقال. وفي هذا السياق، كان شائعا ارتداء رداءً وعمامة، واستخدام الزعفران في صبغة الألبسة، بالإضافة إلى ذلك نذكر البُردة، والمطرف المصنوع من الخز، ولف رداء، ولبس القميص[2].

وقد اهتم الرجال والنساء على حد سواء بلبس أحسن الثياب كل حسب إمكانياته المالية ، مصحوبا ذلك بالتزين والتطيب، ومن ذلك تخضيب اللحية وصبغتها بأخلاط من الطيب، وفرشها حتى تتمكن منها الصبغة. ولابد من الإشارة إلى أن الأغنياء في أغلب الأحيان كانوا يأمرون الجواري للقيام بخدمتهم فيما يتعلق باللبس والزينة، بالإضافة إلى أنهم استخداموا زيت الزيتون في دهن الشعر، وكان النساء يتزين بالكحل، ودهن شعرهن وتخضيبه؛ فكان الناس حريصين على التزين والتطيب، ويحرصون على الاهتمام بشعرهم، ولبس العمائم الحسنة، ويتطيبون بأفضل الطيب، ويهتمون بلحاهم، ويحرصون على الظهور بأحسن هيئة[3]

الأمر المثير للاهتمام، التنوع الكبير للألبسة بألوان مختلفة كالجبة، والقميص، والرداء، والإزار، وإزرة السراويل (الحزام)، والبُردة أو الشَمْلَة، والعمامة، وصرّوج حرير، والكساء، والخُف، والمرط، والنعل. وكانت الألبسة والكسوة مصبوغة بألوان جميلة كاللون الأبيض والأسود والأخضر والأحمر. أما فيما يتعلق بالزينة، فكانوا يولون بالغ الاهتمام بالظهور في أفضل هيئة، فيستخدمون المرآة لضبط هيأتهم، والمِشط لتسريح شعرهم وتليينه والحفاظ عليه بدهنه، وذلك باستخدام بعض

---

[1] تناولت الأحاديث النبوية غدد من الثمار، التي يصنع منها العصير والنبيذ، واشترط السكر في حرمتعها. ينظر: الإمام مسلم، المصدر السابق، كتاب الأشربة،باب تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب ومن التمر والبُسر، رقم 7، 16، ص 954، 956

[2] الأصفهاني، المصدر السابق، ج1، ص 249– 330؛ ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 233

[3] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابق، ص 235، 236

أنواع الزيوت كزيت الزيتون، وكان المِشط مصنوعا من العاج، بالإضافة إلى استخدام الكُحل في تزيين العينين لإضفاء السواد عليهما، مما يظهر شدة جمالهما وجاذبيتهما. وتجدر الإشارة إلى استخدام شتى أنواع الطيب وأحسنها خاصة المسك، وقد اهتم الرجال بقص الشارب، واستعمال السواك في تنظيف الفم وتفادي ظهور رائحة كريهة تخرج منه بسبب الطعام، والحفاظ على بياض الأسنان. أما بالنسبة للفراش والوسادة، كانوا يفضلون اللينة منها، ويحشون كلا من الفراش والوسادة بالليف أو الصوف، ولم تكن الوسادة بها رسومات لحيوانات، نظرا لنهي الرسول صلى الله عليه وسلم على تصوير الحيوان أو الإنسان[1].

5 . اللهو ومجالس الأنس:

يحتاج الإنسان إلى إراحة النفس أحيانا بالسياحة وأحيانا أخرى باللهو، وفي هذا السياق استمتع المجتمع الإسلامي في العهد الراشدي بأنواع مختلفة من اللهو، وكان الصحابة وفي مقدمتهم الخليفة الراشدي يتدخل للنهي عن اللعب أو اللهو ببعض المحرمات أو ما يسبب ضررا وإزعاجا لعموم الناس، ومن ذلك أن البعض كان يقبل على تربية الحمام والاستمتاع به، وكان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد نهى عن اللعب بالجلاهقات، وأقدم على تكسيرها[2]. كما كان الصبية يلعبون بالرماح بالأخص الصبيان الأحباش[3].

لم يكن الغناء حالة غريبة طارئة على المجتمع الإسلامي؛ بل عرف العرب الغناء منذ العصر الجاهلي، وبرع فيه الكثير من أشراف قريش، أمثال: النضر بن حارث بن كلدة، وحريث بن عمرو، والحكم بن أبي العاص، ومعمر بن عثمان، وسيرين بن سيرين[4]. وحسب بعض الروايات، يعتبر طويس (ت 92هـ/ 711م) أول من غنى في الإسلام، وأتقن غناء الهزج والرّمل على عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23- 35هـ/ 643- 655م)، وهو من المخنثين، كان يغني في الأعراس. ويعد المدرسة الأولى في الغناء، وقد تعلم على يديه الرعيل الأول من المغنين، أمثال: ابن

---

[1] الألبسة والزينة والأدوات التي ذكرناها، تتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهي كانت شائعة في زمنه وعهد الخلفاء الراشدين من بعده. ينظر: العاقولي، المصدر السابق، ص 89- 105

[2] السيوطي، المصدر السابق، ص 128، 129

[3] العاقولي، المصدر السابق، ص 242

[4] الدينوري، المعارف، المصدر السابق، ص 319

سُريج، ونومة الضحى، والدّلال، الذين بدورهم تتلمذ على يديهم كل من ذاع صيته في الفترة الأموية[1].

تفيد العديد من الروايات، أن النهضة التي عرفها الغناء، وإدخال آلات الطرب إلى جزيرة العرب، كان بفضل الانفتاح على بلاد فارس والروم على إثر الفتوحات الإسلامية، التي استولى فيها المسلمون على أرض العراق والشام وفارس وغيرها من البلاد المفتوحة. وقد نقل ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ/ 1064م) عن إسحاق أن الغناء عند العرب، كان بسيطا يقتصر على غناء الحداء، ولم تستعمل فيه آلات طرب، واستمر على ذلك حتى ظهر الإسلام، واستولى المسلمون على بلاد العراق وفارس والروم، فجلبوا منها الغناء الرقيق، وأدخل الغناء الفارسي والرومي على الغناء العربي، واستخدمت فيه آلات الطرب كالعود والطنبور والمعازف والمزامير[2].

بناءً على ذلك، فإن المتتبع لمسار حركة الغناء والطرب ومجالس الأنس، يكتشف بوضوح أن هذا الاعتقاد الذي ورد في الروايات المذكورة بعيد عن الصحة. وفي حقيقة الأمر كان هناك انقطاع في استخدام آلات الطرب باستثناء الدُّف، وقد ذكرنا سابقا استخدام العرب في الجاهلية لأنواع مختلفة من آلات الطرب، مما يدفعنا للاعتقاد أن هذا الانقطاع يعود إلى موقف الرعيل الأول من الصحابة بحرمتها، وأذعن المجتمع في هذه الفترة، لهذه الرغبة المتأصلة، وقد ظهر ذلك بوضوح في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، فلم يستخدم إلا الدُّف أو القضيب كما دلت عليه بعض الروايات، أن المغني ابن سريج كان يغني باستخدام القضيب في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، قبل استخدامه آلة العود على عهد بني أمية[3].

خلاصة القول، شهد المجتمع في العهد الراشدي تطورا واضحا ومفصليا، وقطيعة مع مظاهر المجتمع العربي في العصر الجاهلي، وهذا بفضل تأثير تعاليم الإسلام على الأخلاق والعادات والتقاليد الاجتماعية، وقد أذابت العدالة الاجتماعية الفوارق الاجتماعية خلافا لما هو واقع في باقي المجتمعات، وسيادة الطابع المثالي حقق ما يعرف بالمجتمع الفاضل، الذي يعد حلم كثير من

---

[1] الأصفهاني، المصدر السابق، ج4، ص 219، 221؛ الأبشيهي، المصدر السابق، ص 557؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق،
م6، ص 30

[2] ابن رشيق القيرواني، المصدر السابق، ص 314

[3] الأصفهاني، المصدر السابق، ج1، ص 249، 250

شعوب العالم، ورغم ما ينظر إلى تشدد الإسلام وتحريمه لأنواع الملاهي والموسيقى، إلا أن المجتمع استمتع بالغناء والطرب باستخدام الدُّف والقضيب في مجالس الأنس والضيافة والحفلات.

الفصل الخامس: الدولة الأموية

1 ـ نظم الحكم والإدارة

2 ـ الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي

3 ـ المجتمع والاقتصاد

4 ـ الأوضاع الثقافية

الفصل الخامس: الدولة الأموية:

تعتبر الدولة الأموية من أعظم الدول التي شهدها التاريخ البشري، وقد استطاعت في فترة وجيزة من تحقيق فتوحات عظيمة، وكانت تمتلك كل مقومات الحضارة والتنوع الاجتماعي العرقي والديني والمذهبي، وقد تميزت الدولة الأموية بتأسيس المؤسسات الإدارية والأمنية وتنظيم الحياة الاقتصادية، وأضفت الشخصية العربية والإسلامية على طابع الدولة، ونجحت بذلك في تحقيق تفوق حضاري في فترة قصيرة. من هنا نتساءل: ما هي نظم الحكم والإدارة في العهد الأموي؟ فيم تتجلى مظاهر الحياة الاجتماعية؟ ما التطور الذي حصل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية؟

1 . نظم الحكم والإدارة:

تقوم شرعية الدولة على طبيعة نظام الحكم، الذي يبحث دوما عن سند يبرر فيه شرعية حكمه؛ فلما كان الخلفاء الراشدون يتبعون مبدأ الشورى في بيعة الخليفة، واختيار الناس طواعية دون إكراه لخليفتهم، الذي شرعيته تحدد بإجماع المسلمين والالتزام بالكتاب والسنة، وبالتالي رضي الناس على حكم الخلفاء الراشدين باستثناء ما وقع في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين انقسمت الأمة على نفسها[1].

الجدير بالذكر، أن بني أمية خالفوا منهج الشورى الذي سار عليه الخلفاء الراشدون، وتحول الحكم إلى نظام ملكي وراثي، واكتفوا بمبدأ الشورى فقط داخل البيت الأموي بالوراثة، ثم يلزموا الناس بالبيعة، واتخذوا لقب الخليفة لأنفسهم، رغم أنها لا تتوفر شروط الإمامة والبيعة؛ فلما تمكنوا من تنظيم شؤون الدولة وتأسيس دواوينها وترتيب إدارتها، بالإضافة إلى هيبة ملوكها وحسن تدبيرهم في السياسة والفتح، تقبل عموم المسلمين حكم بني أمية بعد إخماد العديد من الثورات[2]. وقد نجح بنو أمية من تأسيس الدواوين وترتيب الإدارة. والآن نعرض أهم المؤسسات الإدارية والوظائف السامية، ونذكر منها:

. الوزارة:

بالإمكان القول أن الوزارة كوظيفة سامية، وما تشكله من سلطة عليا في الدولة بجوار الخليفة، وما يمثله الوزير من عين الخليفة على المسلمين ويده التي تطال المخالفين والناقمين، وتحفظ

---

[1] الماوردي، المصدر السابق، ص 13، 16، 17، 21؛ ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، م2، ص 575، 576، 577، 578

[2] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج4، ص 60، 61، 62، 63

الأمن والطمأنينة، ورفع التقارير بكل حدث يحدث أو إجراء يتخذ للخليفة، وتختلف مهام الوزير على حسب نوعية الوزارو، فهناك نوعين من الوزارة، وهما وزارة التفويض ووزارة التنفيذ، ولكل واحدة منها شروط واختصاص ومهام. وتجدر الإشارة في هذا الموضع أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان هو أول من اتخذ ديوان الخاتم[1].

لم يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وظيفة الوزارة في دولة النبوة، واكتفى بالتنظيم الإداري البسيط، الذي يغلب عليه الطابع القبلي، وهذا ما سار عليه الخلفاء الراشدون، فكانت النظم القبلية لها تأثير بالغ في ترتيب الدولة، ويمكننا القول أن بني أمية حافظوا على هذا النهج العربي التقليدي، الذي نبرز فيه قوة القبيلة وحكم رؤسائها، فلم يتخذوا وزراءً، وكانت كافة مقاليد السلطة لا يشاركه فيها وزير لا بتفويض ولا تنفيذ[2] .

. الكتابة:

كان منصب الكاتب من أهم المناصب السامية في الدولة، وله نفوذ ومكانة لدى الخلفاء، وتولى على رأس كل ديوان كاتب، في عاصمة الدولة وولاياتها، ولم يتولى هذا المنصب إلا من ثبت مهارته في الكتابة، وقدرته اللغوية، والدراية ببعض العلوم التي يتطلبها الديوان، ففي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان تولى عبيد بن أوس الغساني كتابة ديوان الرسائل، أما ديوان الخراج، وهو أهم الدواوين فقد ولي عليه سرجون بن منصور الرومي، وكان عبيد بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمي قد تولى الكتابة في الكثير من الدواوين، ويعد عبد الرحمن بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان كاتبه الذي لازمه طيلة فترة حكمه[3].

ليس بالإمكان التطرق إلى دواوين الدولة دون ذكر الكتاب القائمين عليها، وقد تولى عدد من الكتاب في عهد الخليفة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، نذكر منهم: كاتبه الريان ابن مسلم، وكان كاتبه على الديوان سرجون بن منصور. أما الخليفة عبد الملك بن مروان، كان كاتبه قبيصة بن ذؤيب أبو إسحاق، وقد تولى كتابة ديوان الرسائل أبو الرعيزعة مولاه. وبالنسبة للخليفة الوليد بن عبد الملك، كان كاتبه القعقاع بن خاله، وأبو خليد العبسي، وتولى ديوان الخاتم مولاه شعيب الغساني، كما تولى ديوان الرسائل مولاه جناح، وديوان المستغلات تولاه مولاه نفيع ابن

---

[1] الماوردي، المصدر السابق، ص 44- 47؛ الحبيب الجنحاني، التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 163

[2] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م2، ج4، ص 64

[3] الطبري، المصدر السابق، م2، ص 582

ذؤيب. وفيما يتعلق بالكتاب في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، كان كاتبه سليمان بن نعيم الحميري، أما الخليفة هشام بن عبد الملك، كان كاتبه سعيد بن الوليد بن عمرو الأبرش، وعين على ديوان خراج خرسان نصر بن سيار، كما كان شعيب بن دينار كاتب الخليفة بالرصافة. أما الخليفة الوليد بن يزيد، فكان كاتبه بكير بن الشماخ، وكذلك عبد الله بن عمرو وولى على ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك[1].

. الحجابة:

اتخذ معاوية بن أبي سفيان حاجبا وسائر خلفاء بني أمية، لتنظيم دخول الناس عليهم وتجنب ما وقع لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ونظرا لمحاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها معاوية بن أبي سفيان من قبل الخوارج، سارع إلى خلق هذه الوظيفة الهامة في حفظ سلامة الخليفة وتأمين باب الخلافة، وقد ذكرت بعض الروايات تولي أبو درة منصب الحجابة في عهد معاوية وعبد الملك بن مروان[2].

. القضاء:

اهتم بنو أمية بالقضاء وخصصوا للقاضي راتبا، وهذا يعود أول الأمر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهو أول من أعطى الراتب للقضاة، وكان بنو أمية حريصون على اختيار القاضي وفقا لمؤهلاته العلمية ونزاهته، ولكن هذا لا يمنع من جهة أخرى أنهم كانوا يتحرون في منح هذا المنصب لمن يكون مخلصا ووفيا لهم[3].

. الشرطة:

تعد الشرطة من أهم أجهزة الدولة، التي تحافظ على أمن المجتمع وتأمين الجبهة الداخلية، ويعد عثمان بن عفان أول من أنشأ الشرطة كما ذكرنا سابقا، وكان بنو أمية يختارون من يرونه أهلا لمنصب صاحب الشرطة؛ فكانوا يختارونه من أصحاب المروءة والشدة والبأس والوفاء، وكل من علت منزلته وتقرب إليهم وكان من خاصتهم. وصاحب الشرطة له مهام عدة كحفظ النظام وكبح اللصوص، ومحاسبة السارق، وضبط كل من تسول له نفسه الإخلال بالنظام العام، كما يتكفل بمساعدة القاضي وتنفيذ أوامره وإحضار المتهمين وغير ذلك من المسؤوليات الأمنية[4]

---

[1] الطبري، المصدر السابق، م2، ص 582، 583

[2] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج4، ص 68

[3] نفسه، ص 71

[4] نفسه، ص 73

. التقسيمات الإدارية:

شملت الدولة الأموية بلادا واسعة، تم تقسيمها إلى خمس عمالات كبرى، وعين على كل واحدة منها واليا، يخضع مباشرة لسلطة الخليفة، وهذه الولايات هي:

. الحجاز واليمن ووسط بلاد العرب، حاضرتها المدينة المنورة

. العراق، حاضرتها الكوفة والبصرة

. مصر، حاضرتها الفسطاط

. الجزيرة وأرمينيا وأذربجان، حاضرتها الموصل

. إفريقية والأندلس والجزر كالصقلية وسردينية وغيرها، حاضرتها القيروان[1].

2 . الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي:

الجدير بالذكر، أن استقلال إفريقية عن مصر وقع في سنة 50 هجرية/ 670م، ويعتبر عقبة بن نافع أول والي لولاية إفريقية والمغرب، وقد عمل خلال ولايته على توطيد أقدام العرب الفاتحين بأرض إفريقية واستقرارهم بها، ومن أجل ذلك قام ببناء مدينة القيروان، واتخذها قاعدة للانطلاق والتوغل في بلاد المغرب، وانتهت ولايته الأولى لإفريقية بعزله من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة 55 هجرية/ 675م، واختلفت الروايات حول أسباب العزل. **وقد ولي من بعده أبو** المهاجر دينار سنة 55 هجرية/ 675م، وكان قد أقدم أبو المهاجر على بناء مدينة تكروان، وإخلاء مدينة القيروان من السكان، واعتمد سياسة مخالفة لسياسة عقبة، حيث انتهج سياسة اللين والمداهنة مع شيوخ وأمراء البربر لاستمالتهم للإسلام، وقد نجحت هذه السياسة حين ربط صداقة مع كسيلة زعيم قبيلة أَورَبَة الذي اعتنق الإسلام، وساهم في الفتح فتمكن أبو المهاجر من إخضاع المغرب الأوسط بوصوله إلى تلمسان[2].

وفي سنة 62 هجرية/ 682م، عاد عقبة بن نافع مرة ثانية لولاية إفريقية بأمر من الخليفة يزيد بن معاوية، فأقدم على تخريب مدينة تكروان، وأعاد إحياء مدينة القيروان وولى عليها زهير بن قيس البلوي، ومضى على رأس جيوشه وبصحبته أبي المهاجر دينار مقيدا بالحديد. فأخضع المدن والمناطق المناوئة لحكم المسلمين حتى وصل طنجة، ثم أخضع بلاد السوس وأضعف شوكة البربر

---

[1] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج4، ص 69

[2] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق بشار عواد ومحمود يشار، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2013، ص 43- 47

وشتت شملهم، وفي طريق عودته بعث بالجيش إلى القيروان (هناك آراء مختلفة حول قرار عقبة بإرسال معظم جيشه إلى القيروان)، واتجه مع قلة من أصحابه إلى أن وصل موضع يقال له تهوذة، كان يرمي لإقامة قاعدة عسكرية مثل القيروان لمراقبة تحركات البربر في المغرب الأوسط، وكان لا يأخذ بنصائح أبي المهاجر باعتماد سياسة اللين مع كسيلة باعتباره سيد قومه، وبهذا الموضع دارت معركة غير متكافئة بين عقبة والجيش البربري مدعوما بالبيزنطيين بقيادة كسيلة سنة 64هجرية/ 684م، وانتهت باستشهاد عقبة وأبي المهاجر ومن معهما من المسلمين، وتمكن كسيلة من دخول القيروان، وانسحاب زهير بن قيس إلى برقة. وتجدر الإشارة إلى أن بمجرد حصول زهير بن قيس على الدعم العسكري من الخليفة عبد الملك بن مروان، وتمكنه من قتل كسيلة ودخول القيروان سنة 69هجرية/ 689 م، ومقتله وهو في طريق عودته إلى برقة على يد البيزنطيين[1].

تجدر الإشارة إلى تعيين حسان بن النعمان واليا على إفريقية سنة 74 هجرية/ 694م، بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان، فتمكن من إخضاع مدينة قرطاجة، وبناء مدينة تونس، وإنشاء دور لصناعة السفن، وتمكن من القضاء على الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة بالأوراس سنة 82هجرية/ 701م، ويرجع له الفضل في تنظيم شؤون إفريقية والمغرب، وأنشأ الدواوين، وفرض الخَراج، فساد الأمن والاستقرار. **أما** موسى بن نصير، فقد ولي إفريقية بعد عزل حسان بن النعمان سنة86 هجرية/ 705م، وأقدم على اتباع منهج من سبقه من الولاة، بحيث عمل على إخضاع الثغور المتبقية، واتخذ من طنجة قاعدة لمراقبة أحوال المغرب الأقصى، وعين طارق بن زياد عاملا عليها. وفي سنة 92هجرية/ 711م اجتاز طارق بن زياد، ثم موسى بن نصير إلى الأندلس، فتمكنا من فتحها[2].

وقد تولى بلاد المغرب الكثير من الولاة، نذكر منهم: محمد بن يزيد؛ بِشر بن صفوان؛ عُبيدة بن عبد الرحمن السُلمي؛ عُبيد الله بن الحبحاب؛ كلثوم بن عياض؛ حنظلة بن صفوان؛ عبد الرحمن بن حبيب الفهري ورغبته في الانفصال بإفريقية، ويعد عبد الرحمن بن حبيب الفهري آخر ولاة خلفاء بني أمية[3].

أما بلاد المشرق فقد عرفت فتوحات عظيمة، انتهت بالصلح أحيانا وبالفتح عنوة أحيانا أخرى، وكان للمسلمين دوما الغلبة، وفرض الجزية على الممالك والدول، التي لم تستطع دفع جيوش بني أمية، ولا يمكن في هذا الموضع الإحاطة بجميع الفتوحات لكثرة الأحداث والوقائع،

---

[1] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد عزب، دار الفرجاني، بيروت، 1994، ص 43- 45؛ ابن عذاري، المصدر والجزء السابقان، ص 48- 59

[2] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 46- 59؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 60- 74

[3] ابن عذاري المراكسي، المصدر الجزء السابقان، ص 75- 100؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 59- 72

وهذا يحتاج إلى إفراده في كتاب أو مطبوع يختص بالفتوحات الإسلامية على عهد بني أمية، إلا أننا نشير على عجالة بأن بني أمية لهم إنجازات حضارية وفتوحات عظيمة في فترة قصيرة، ومن ذلك ما حققه مسلمة بن عبد الملك من فتوحات بالأخص في أرمينيا وأذربجان، واضطرار هؤلاء إلى دفع الجزية وهم صاغرون، وكذلك ما أقدم عليه يزيد بن المهلب من فتوحات عظيمة ودفع العدو وإجباره على الصلح ودفع الجزية في بلاد ما وراء النهر، ونذكر من ذلك غزو عبيد الله بن بكرة رتبيل سنة 78 هجرية/ 697م، وإقدام يزيد بن المهلب على غزو بلاد ما وراء النهر سنة 80 هجرية/ 699م، وقطع نهر بلخ وأقام معسكره في كس، وقد لجأ إليه ابن عم الملك السبل، وانضم إلى المسلمين ثم خاف منهم، فابتعد عن معسكرهم، وكان الملك يترصده فقبض عليه وقتله، ثم تقدم أبو الأدهم في ثلاثة آلاف واشتبك مع قوات العدو المقدرة بأربعة آلاف، فانتصر المسلمون، ثم عاود حبيب بن يزيد بن المهلب غزو بخارى في نفس السنة، وقتل منهم ما يقارب أربعين ألفا، كما عاود محمد بن الأشعث غزو بلاد ماوراء النهر في هذه السنة، وسار إلى رتبيل، فحقق المسلمون انتصارا عظيما أثار الخوف في نفوس شعوب ما وراء النهر، وأظهر مدى قدرة وقوة الدولة الأموية على إخضاع الممالك البعيدة ونشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر، هذا إلى جانب الغنائم والأموال التي تدفقت على خزينة الدولة[1].

3 . المجتمع والاقتصاد:

شهد المجتمع في العهد الأموي تطورا ملحوظا عما كان عليه في العهد الراشدي، ويرجع ذلك إلى اختلاط المجتمع بالشعوب وثقافت الأمم في البلاد المفتوحة، وقد تعمقت الفوارق الاجتماعية بين العرب وباقي الفئات الاجتماعية التي كانت ترى أنها مهمشة وأقل منزلة من العرب، فبدأت تتبلور الشعوبية، التي هي نقمة العجم على أسيادهم العرب[2].

الأمر المثير للاهتمام خلال تتبع حياة المسلمين، نجد حدوث تطور ملحوظ في المجتمع الأموي، بحيث أن إقبال شعوب أخرى على الاختلاط بثقافاتها واعتقاداتها في المجتمع الإسلامي أحدث انقلابا على الكثير من المبادىء والسلوكيات، التي كانت سائدة من قبل في المجتمع الراشدي، ومن ذلك ممارسة العادة السرية واللواط، فقد أشارت بعض الروايات إلى إقدام البعض من بينهم نضرب مثلا المغني العريض، الذي التقى مع قوم، وكان معهم غلام جميل الوجه والهيئة،

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج3، ص 670، 671، 673

[2] دومنيك سورديل، المرجع السابق، ص 159

فطلبه منهم، وذهب به إلى ما وراء صخرة، وقضى منه شهوة ثم ندم على فعلته. هذه الرواية تفيد كذلك بوجود فئة من الشواذ بالمجتمع، كما أفادت العديد من الروايات بشيوع ظاهرة المخنثين، وكان أشهرهم المغني طوبس، ونظرا لانتشار هذه الظاهرة بالحجاز، اتخذ واليها قرارا بالقبض عليهم وقتلهم، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية رصد جائزة مالية تقدر بثلاثمائة درهم لمن يدله على أحد منهم أو أماكن اختبائهم، فظفر بواحد اسمه ابن نُغاش، وكان يلبس لباس النسوة ويتزين بزينتهم[1].

الجدير بالذكر اهتمام الرجال والنسوة بلباس أحسن الألبسة والكسوة، والاهتمام بزينتهم، فكانوا يتحللون بالسواك من الطعام، وتنظيف الفم من الرائحة خاصة عند إقبال الزوج على الجماع. ولابد الإشارة إلى أن تشبع المجتمع بالأخلاق الفاضلة، هذا لا يعني عدم وجود الكثير من الأخلاق الذميمة، وقد دلت بعض الروايات على وجود ظاهرة البخل، وكذلك التطفل والتجسس. وما يميز هذه الفترة أن الناس كرهوا السكن في بيوت ضيقة، فكان الميسور منهم يشتري أو يقبل على بناء فخم واسع بالجص والآجر، فيكثر من الغرب والفسيفساء، ومن ذلك شاع القول: " من مات في دار ضيقة، قيل فيه: خرج من قبر إلى قبر"[2].

الأمر المثير للاهتمام، أن العرب كانوا يحبون الحسن والجمال، وقد ذكروه ووصفوه ونضموا فيه شعرا، وقد فسروا سبب احمرار وجه المرأة، وما يداخله من اصفرار ورقة البشرة وصفائها يعود إلى مكوثها بالبيت، وما يزيد من جمالها احمرار الوجه حين تخجل، وما يزيدها جمالا في اعتقادهم حسن قوامها، وبياض بشرتها، وسواد شعرها، بالإضافة إلى ملازمتها التزين والتطيب. والجدير بالذكر أنهم كانوا يحبذون المرأة الجميلة المليحة، والجمال في اعتقاد الرجل يتجلى في المرأة السمينة، وهذا ما يفسر الإقبال على الزواج بالنساء وشراء الجواري الممتلآت؛ فكان سمن وامتلاء المرأة يعد معيارا لتحديد جمالها، وعاملا يحرك الشهوة في نفوس الرجال، أما المليحة أو الصبيحة، فهي المرأة البيضاء[3].

فيما يخص الأوضاع الاقتصادية، شهدت هذه الفترة الاهتمام بالزراعة ونظم الري، وأحدثوا تطورا في آليات وأساليب السقي، وقد امتلك بنو أمية وأشراف العرب الضياع والأراضي الشاسعة، واستخدموا العبيد في الاعتناء بالأرض وخدمتها[4]. وقد تضررت الفلاحة بفعل تعاقب الجوائح

---

[1] الأصفهاني، المصدر السابق، ج4، ص 219- 221؛ ابن خلكان، المصدر السابق، م2، ص 369

[2] ابن عبد ربه، المصدر والمجلد السابقان، ص 122، 123، 232

[3] نفسه، ص 118، 119، 120

[4] البلاذري، المصدر السابق، ص 37

والطواعين ومقتل الكثير من الفلاحين، وهذا إذا أخذنا بعين الاعتبار إرهاق الفلاحين بالضرائب، وإلزامهم البقاء في قراهم مثلما فعل الحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق، حين وسم أيديهم حتى يتعرف عليهم ويعيدهم جبرا إلى قراهم، وكان سبب هذه السياسة مقتل مولاه يزيد بن أبي مسلم على يد البربر حين أراد انتهاج سياسة الحجاج في إفريقية[1]. وكان في سنة 79 هجرية/698م، قد وقع الطاعون ببلاد الشام حتى كاد يفنيها، ونعتقد أن نتائجه كانت وخيمة على المجتمع والاقتصاد على حد سواء بسبب كثرة القتلى وفناء الناس في المدن والبوادي، مما يحدث تراجعا حضاريا على كافة الأصعدة بما في ذلك الفلاحة والصناعة والتجارة[2].

وكان لتعاقب الزلازل والأوبئة والجفاف والقحط التأثير الواضح على المجتمع والاقتصاد في هذه الفترة، ففي سنة 126 هجرية/ 744م، وقع الطاعون العظيم الذي اجتاح العالم بما فيه بلاد المسلمين، فانتشرت المجاعة وارتفعت الأسعار، وكثر الموت، وانتشرت ظاهرة قطع الطرق وممارسة اللصوصية والسرقة والسطو، فانعدم الأمن وتضررت الزراعة والتجارة، ومما زاد الحال سوءً تزامن معه وقوع الزلازل. وفي سنة 132 هجرية/ 750م، اضطربت بعض المناطق وانعدم فيها الأمن بسبب هجرة بعض القبائل العربية إليها، وممارسة السلب والإغارة وقطع الطرق، كما كان حال الموصل والجزيرة، وفيها تحالف القبائل العربية مع السكان المحليين وتمردوا على الوالي وطالبوا بتنحيته، فقام الوالي بحملة تأديب واسعة، وما زاد الوضع تأزما استمرار الشتاء وقسوته لمدة ثلاثة فصول، وكان ذلك أمرا عجيبا وقع فيه ثلج عظيم وصل إلى ارتفاع يصل إلى خمسة أشبار، ولم يزول إلا بعد مرور تسعين يوما، وقد استهلك الناس فيه المخازن وهلك فيه أكثرهم، ونفقت المواشي والدواب، فكانت خسائر فظيعة لحقت بالزراعة والتجارة بسبب انقطاع المسالك والطرق التجارية، وأهملت الأراضي، وأتت الجائحة على محاصيل وثمار الفلاحين[3].

الأمر الجدير بالذكر، أن الدولة الأموية امتلكت الميالك والطرق التجارية البرية والبحرية فتحكمت في التجارة الدولية آنذاك، ولعبت الموانيء دورا فاعلا في حركة التجارة، وبفض الموقع الاإستراتيجي للبلاد الإسلامية أهلها ذلك لتكون الرائدة في هذا المجال، ومن بين الموانىء المشهورة، ميناء عمان والبصرة، اللذان كانت ترصوا فيه الكثير من السفن التجارية كالسفن الصينية، التي

---

[1] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 62؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر والجزء السابقان، ص 74، 75

[2] الطبري، المصدر السابق، ج3، ص 670

[3] ديونسيوس التلمحري، تاريخ الأزمان، ترجمة توفيق حافظ، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص 58، 72، 73، 76

انتعشت بفض التجارة البحرية مع المسلمين، فكانت موانئ الخليج العربي تربط التجارة بين بلاد العرب وبلاد جنوب شرق آسيا والصين، أما موانء بلاد الشام وشمال إفريقيا فتربط البلاد العربية مع أوربا، وبهذا كانت الدولة الإسلامية المترامية الأطراف برا وبحرا تسيطر على أهم مراكز وطرق التجارة العالمية، ولعبت بذلك دور الوسيط التجاري، الذي بدونه تتوقف عجلة التجارة الدولية[1].

4 . الأوضاع الثقافية:

شهدت الأمة الإسلامية في العهد الأموي نهضة علمية وضعت حجر الأساس للثورة العلمية، التي شهدتها بلاد المسلمين على يد العباسيين فيما بعد، وللأسف هناك إجحاف في حق الأمويين خاصة في الجوانب الثقافية العمرانية والعلمية، والمتتبع لحركة التأليف يكتشف بوضوح المساهمة المعتبرة للأمويين في الترجمة. ونعتقد جزما أن الفضل يعود في هذه الفترة إلى الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وهو عالم محدث، أحاط بترجمة كتب القدماء، وكان حازما خطيبا وشاعرا فصيحا، يحسب على أهل العقل والرأي، وهو أول من أمر بترجمة كتب الطب والكيمياء والنجوم في تاريخ المسلمين، ويشهد له أنه أجاد الترجمة، فنقل الكثير منها إلى العربية، وكان دوما يقول ليس لي حظ في الخلافة، إنما حظي في العلم، ولهذا اجتهد في الترجمة واستخدم المترجمين في نقل كتب الإغريق وغيرهم إلى العربية، ولم يكتف بترجمة الكتب، بل ألف العديد من الكتب في الطب والكيمياء والنجوم، فكان عالما يتقن صنعة الترجمة والتأليف، واستفاد منه الكثير من المهتمين بالطب والفلسفة والكيمياء وعلم النجوم، ويعد خالد بن يزيد مفخرة الأسرة الأموية والمسلمين. ونعتقد أنه لم يأخذ حقه في الدراسات الحديثة، التي لم تعط اهتماما بالغا للدور الذي لعبه في حركة التأليف والترجمة[2].

رغم كل الشواهد التي دلت على الإنتاج العلمي الذي برز فيه الأمير خالد، إلا أن هناك من المستشرقين من يشككون في ذلك، ليس انطلاقا من حجة مقنعة، بل من تحليل واهم، وقد اعتبروا أن الفترة الأموية غلب عليها حب الشعر والغزل والافتخار بالأنساب، لكن نعتقد أنهم بعيدون جدا عن الصواب، لعدم توفر بين أيديهم قرائن تبطل الروايات التاريخية خاصة تلك التي أفاد بها ابن النديم، وهو الذي يعد من الذين اختصوا في تتبع حركة التأليف والترجمة[3]. ويمكننا

---

[1] الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 61- 68

[2] ابن النديم، الفهرست، تحقيق محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص 482، 483

[3] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج4، ص 88؛ ابن النديم، المصدر السابق، ص482

القول أن الفترة الأموية شهدت ازدهارا في جوانب عدة كنضم الشعر والتأليف، لأن التدوين ليس بحالة غريبة عن المجتمع في هذه الفترة، لأن المدونين والمؤلفين وجدوا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة فيما تعلق بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أفادت الروايات أن عبيد بن شرية، هو أول من ألف كتبا في التاريخ والأخباروالقصص بطلب من الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان[1].

خلاصة القول، يعود الفضل إلى بني أمية في نشر الإسلام بمشارق الأرض ومغاربها، وذلك في فترة قصيرة، إذا ما قورن بتاريخ الأمم العظيمة، إلا أن المجتمع شهد تطورا ملحوظا فيما يتعلق بعمق الفوارق الاجتماعية، وبروز أخلاق ذميمة على عكس ما كان عليه قبل هذه الفترة، ورغم تعاقب الأوبئة والكوارث الطبيعية والجوائح، إلا أن الدولة الأموية استطاعت تجاوز ذلك، وتحقيق نهضة زراعية وتجارية عادت إيجابا على موارد الدولة والحالة المعيشية للمجتمع، وكان الوضع الثقافي بسيط لارتباط المجتمع بالبداوة، ولكن رغم ذلك استطاعت الدولة وضع حجر الأساس لقيام نهضة علمية وثقافية، والتي برزت خلال الفترة العباسية.

[1] محمد أسعد طلس، المرجع السابق، م1، ج4، ص 89

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن

1 . المصادر:

1 . الأصفهاني، الأغاني، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952

2 . ابن إسحاق محمد، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004

3 . الإبشيهي، المستظرف في كل فن مستطرف، تحقيق محمد خير طعمة، ط5، دار المعرفة، بيروت، 2008

4 . البلاذري أحمد بن يحي، البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق نجيب الماجدي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2008

5 . البخاري، صحيح البخاري، تقديم محمد شاكر، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2004

6 . ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، مختصر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق أحمد جمعة، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011

7 . ديونسيوس التلمحري، تاريخ الأزمان، ترجمة توفيق حافظ، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008

8 . الدّينوري مسلم بن قتيبة، المعارف، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003

9 . الدّينوري مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 2014

10 . الدّينوري مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، م2، ضبط محمد نبيل، ط1، دار صادر، بيروت، 2011

11 . الدّينوري مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009

12 . الواقدي أبو عبد الله محمد، فتوح الشام، ج1، ط2، دار صادر، بيروت، 2010

13 . الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج2، تحقيق مصطفى السيد وطارق سالم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

14 . اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، م1، دار صادر، بيروت، دون تاريخ

15 . الماوردي أبو الحسن علي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق عصام فارس الحرستاني ومحمد إبراهيم، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996
16 . المقدسي أبو طاهر، البدء والتاريخ، تحقيق كليمان هورت، دار ابن النديم، الجزائر، وهران، 2011
17 . مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، ج1، ط1، تحقيق الإمام النووي، دار الحديث، القاهرة، 1991
18 . ابن النديم، الفهرست، تحقيق محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية ، دون تاريخ
19 . السجستاني، كتاب النخلة، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2002
20 . السيوطي جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الرفاعي ومحمد العثماني، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دون تاريخ
21 . العاقولي محمد، الرَّصفُ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الفعل والوصف، ج1، ط1، دار الرسالة، بيروت، 1994
22 . ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق بشار عواد ومحمود يشار، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2013
23 . ابن عبد ربه، العقد الفريد، م6، تحقيق محمد التونجي، ط2، دار صادر، بيروت، 2009
24 . ابن العربي أبو بكر، العواصم من القواسم، ط1، مكتبة الأنصار، مصر، 2006
25 . الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد عزب، دار الفرجاني، بيروت، 1994
26 . ابن رشيق أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، 1981
27 . ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان البتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، م2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003
28 . ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، م2، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978

2 . المراجع:

1 . أسعد طلس محمد، تاريخ العرب، م1، ج1، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983
2 . إبراهيم شمس الدين، مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002

3 . جورج هنري فارمر، تاريخ الموسيقى العربية، ترجمة حسن نصار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010
4 . الجنحاني الحبيب، التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985
5 . دومنيك سورديل، الإسلام في القرون الوسطى، ترجمة علي المقلد، دار التنوير، بيروت، 2007
6 - دوبولا فيلييه، تاريخ العرب وحياة محمد، ترجمة مصطفى التواتي، ط1، منشورات كارم شريف، تونس، 2013
7 . الكتاني محمد عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج1، تحقيق عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دون تاريخ
8 . يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1978
9 . عماد عبد السميع، الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سِفْر اللاَّوين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004
10 . عبد الحميد سلامة، قضايا الماء عند العرب قديما، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004
11 . محمود مصطفى الحلاوي، النظم الإسلامية في صدر الإسلام، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دون تاريخ
12 . موسى عبد اللاوي، الحضارة الإسلامية وآثارها على المدينة الغربية، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 2008
13 . مرزوق زريق، نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2000
14 . صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ط1، دار السلام، الرياض، 2009
15 - صالح أحمد العلي، الحجاز في صدر الإسلام، دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990
16 - قسطندي رزق، الموسيقى الشرقية والغناء العربي، دار كلمات عربية، القاهرة، دون تاريخ